المناجاة الكبرى

لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام

فى الأحكام والوصايا والمواعظ

ويليها

١ ـ قصة الجمجمة التى أحياها الله لسيدنا عيسى
ابن مريم عليه الصلاة والسلام نثرا ونظما.
للأستاذ العالم الشيخ « عبد الله الكفيف »
المتوفى عام ١١٠٠هـ رحمه الله

٢ ـ قصة وفاة آدم عليه الصلاة والسلام (للثعلبى)

الطبعة الأولى

١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م

حقوق الطبع محفوظة

قالَ يامُوسَى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ على النَّاسِ
بِرِسالاتى وَبِكَلامى

[قرآن كريم]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله
وصحبه ، وسلم تسليما

روى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال : حين نودى موسى عليه السلام إلى الجبل الذي يسمى جبل الطور ، إذ نزل جبرائيل عليه السلام ، ونزلت الملائكة يطردون الوحوش وكل شيء فيه ، فقال جبرائيل لموسى عليه السلام : اصعد إلى الجبل واعلم أنك الآن تناجى ربك عليه ، قال : فصعد موسى عليه السلام ، وعليه جبة من صوف وعباءة من صوف ومدرعة من شعر ، وبيده عصا يتوكأ عليها . فنزلت الملائكة وأحاطوا بالجبل مثل الحلقة ، فقال له جبرائيل : تعمم يا موسى وتبرقع بطرَف العمامة ، وشدَّها على جبينك ورقبتك حتى لا يبين منك غير الحدق . قيل : إنه فعل ذلك موسى لكى لا يحترق بنور

كلام الله عزّ وجلّ . فصعد موسى ، ووقف متكئا على عصاه يستمع ما يقول له ربه ذو العزّة والجبروت جلّ جلاله ، قال الله سبحانه وتعالى : شهدت بنفسى لنفسى أن لاإله إلا أنا وحدى لاشريك لى فى ملكى ، وأن محمدا عبدى ؛ فاعبدنى يا موسى ، وأقم الصلاة لذكرى ؛ فمن لم يرض بقضائى ، ولم يصبر على بلائى ، ولم يشكر نعمائى ، ولم يقنع بعطائى فليطلب ربا سوائى ؛ ومن أصبح حزينا على الدنيا فكأنما أصبح ساخطا علىّ ، ومن شكا مصيبة نزلت به فقد شكانى ، ومن أجلّ غنيا لأجل غناه ذهب ثلثا دينه ، ومن لطم وجهه على ميت فكأنما هدم كعبتى بيده . وكأنما أخذ رمحا يحارب بى به ، ومن لم يبال من أين يأكل ، لم يبال الله من أىّ باب يدخله النار ، ومن أطال أمله لم يخلص عمله . قال موسى : يا ربّ لاإله سواك ، أنت إلهى وإله آبائى ، وأنا عبدك . قال الله تعالى : يا موسى ، لولا أن تقول لاإله إلا الله ، ما نزل من السماء قطرة ، ولا نبت فى الأرض شجرة ؛ ولولا عبّاد من عبادى يعبدوننى ويشكروننى ويحمدوننى ، لسلطت الجحيم عليهم تسليطا ، ولولا أنهم يوحدوننى لتباعدت رحمتى على من عصانى طرفة عين ، ولولا أنهم يدعوننى لتباعدت رحمتى من خلقى .

قال الله : ياموسى أتحبّ قربى إليك ورضائى عنك ، وأكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ، ومن سواد عينيك إلى بياضهما ، ومن روحك إلى بدنك . قال موسى : نعم يا ربّ قال : أكثر من الصلاة على حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أخذ التوراة من ربه . وكانت مكتوبة على تسعة ألواح من الذهب ، فوقعت ثلاث ورقات من يده ، وطارت إلى السماء ، وبقيت ستة ، وكان وقوعها غيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى (فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) ، فأخذ الألواح وبقى واقفا متعجبا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا ربّ أنا أتقرّب إليك بالصلاة عليه ؛ ثم قال الله تعالى : يا موسى لولا محمد ماخلقتك ، ولا خلقت خلقا ولا جنة ولا نارا ، ولا ليلا ولا نهارا ، ولا شمسا ولا قمرا ، ولا ملكا ولا رسولا ، وإن لم تقرّ بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم أحرقتك بنارى ولو كنت إبراهيم خليلى ، قال موسى : يارب إنى أقررت بنبوّته وشهدت بفضله ، وأكثرت من الصلاة عليه ، فقال الله : يا موسى حبّ لمحمد كما تحبّ لنفسك ، وحبّ الخير لأمته كما تحبّ الخير لبنى إسرائيل وإلا جعلت عملكم هباء منثورا ، فإن يوم القيامة كلّ نبىّ يقول

نفسي إلا محمدا صلى الله عليه وسلم يقول أمتي . ياموسى بلغ بني إسرائيل عني . أنه من جحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فإنني أسلط عليه الزبانية . وأضيق قبره . وأجعل بيني وبينه حجابا مستورا . لاملكا يرحمه . ولا ينال شفاعته . وأدخله ناري ولا أبالي .

قال الله تعالى : يا موسى من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وصدّق برسالته . وأحبّ الخير لأمته كان حقا عليّ أن أغفر له . يا موسى الجنة محرّمة على جميع الأنبياء والأمم حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ؛ يا موسى إذا كان يوم القيامة تبرأ إبراهيم من ولده . ولم يتبرأ محمد صلى الله عليه وسلم من أمته المذنبين حتى يشفع لهم يوم القيامة ؛ يا موسى إني جعلت عمل الخير الواحد من الحسنات بعشر إلى سبع مئة ، والسيئة بواحدة إكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو عندي محبوب مقرّب إلى رحمتي ؛ يا موسى جعلت رحمتي ألف جزء : جزء واحد لجميع الأمم ، والباقي منها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال موسى : يا ربّ أما يعصونك ؟ قال : يعصونني ثم يتوبون ، ويستغفرون لي ثم يذنبون ، فيشتدّ عليهم غضبي ، فإذا قالوا لاإله إلا الله محمد رسول الله

يسكن غضبي وتخمد نارى ؛ فعند ذلك خرّ موسى ساجدا . وقال : يا ربّ ما أكرم محمدا وأمته عليك . وما أجلهم عندك ! من يكون السعيد يوم القيامة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله : ياموسى اسمع ما أقول لك : إن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم جماعة يتوبون عن المعاصى والحرام والذنوب والآثام ، فأتوب عليهم ، وأعطيهم ثوابا جزيلا ، وإنه لايصبح ولا يمسى على وجه الأرض أحدا أحبّ إلىّ من شابّ تائب سخىّ وشيخ كبير فى الإسلام ؛ يا موسى إن محمدا وأمته يصلون فى سواد الليل وبياض النهار ، فأجازيهم جزاء الأنبياء ، وتستغفر لهم الملائكة ، وتشتاق لهم جنتى ؛ ياموسى من صلى صلاة بالليل وأدركها بالنهار وجبت له مغفرتى ورضائى ، وأستحيي أن أعذّبه يوم القيامة ؛ يا موسى جعلت لهم شهرا فى السنة يصومونه وفرضته عليهم ، فأعطيهم فى كلّ يوم من صيام أجر سنة كاملة ، وأغفر ذنوبهم ، وأعتق فى كلّ ليلة ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب . يا موسى تصوم أمة محمد عشرة أيام من شهر حرم ، فأعطيهم أجر من صام سنة « والصوم لى وأنا أجزى به » .

يا موسى إن للجنة بابا يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فطوبى للصائمين المستغفرين بالأسحار . وهى شجرة فى الجنة تحت العرش ، أغصانها متدلية على قصور الجنة . وذا أغصان بعدد نجوم السماء . على كل غصن ألف لون من الثمرات ، وكل ثمرة لها لذّة وطعم أحلى من العسل وأعذب من الشهد ، وأشذى ريحا من المسك الأذفر ، ولا ينال العبد هذا الإكرام إلا بطاعتى ورحمتى . يا موسى الصائمون أيام البيض يوم القيامة على غرف من الجنة ، ووجوههم كالقمر ليلة التمام ، وأكتب لهم براءة من النار . قال الله : يا موسى إنى عزيز ، وعزّتى وجلالى ومجدى وارتفاعى فى مكانى ، من جوّع نفسه عن شبعها ، وكظم شهواتها لأجلى رضيت عنه . وأعطيه ما تقرّ به عينه من الجنة ، وأنا على كلّ شىء قدير . ثم قال الله تعالى (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ، وإياى فارهبون) . كما لاتجمعون المال إلا بالنصَب فتقرّبوا إلىّ بالنوافل ، واطلبوا رضائى بمرضاة المساكين عندكم ، وارغبوا فى رحمتى بمجالسة العلماء ، فان رحمتى لاتفارقهم طرفة عين . يا موسى اسمع ما أقول . الحقّ أقول ،

من تكبر على مسكين حشرته يوم القيامة على صورة الذرّ . ومن تواضع لعالم أو لوالديه رفعته فى الدنيا والآخرة . ومن تعرّض لهتك ستر مسلم هتكت ستره سبعين مرّة ؛ ومن أهان مؤمنا فى فقره فقد بارزنى بالمحاربة ؛ ومن أحبّ مؤمنا من أجلى فقد صافحته الملائكة فى الدنيا والآخرة . ثم قال : يا موسى الويل لناقضى العهد وخائنى الأمانة ؛ يكونون يوم القيامة مصلوبين على شجرة الزقوم ؛ والنار تدخل فى دبرهم وتخرج من فمهم وأعينهم وآذنهم وينادون من حرّ جهنم وشدتها ويستغيثون فلا يغاثون ؛ تسيل دماغهم وأنوفهم ؛ والسلاسل والأغلال فى أعناقهم وأيديهم وأرجلهم . يا موسى ناقض العهد والأمانة لايموت حتى يرى مقعده فى النار . ياموسى أتحبّ أن تنجو من هذا العذاب ؟ قال : نعم يا ربّ وكيف لاأحبّ وقد اضطرب فؤادى وتلجلج لسانى مما سمعت . قال : لاتكن خوّانا بصاحبك ولاتظنّ به إلا خيرا ، وحبه للناس كما تحبه لنفسك . يا موسى اسمع ما أصف لك بعض صفات جهنم ، قال : نعم يا رب . قال : ياموسى تعصونى وأنتم تجزعون من حرّ الشمس والرمضاء وجهنم لها سبع طباق يأكل بعضها بعضا ، فى كل طبقة منها سبعون ألف واد من نار ، فى كل

واد سبعون ألف شعب من نار ، فى كل دار سبعون ألف بيت من نار ؛ فى كل بيت سبعون ألف بئر من نار ؛ فى كل بئر سبعون ألف تابوت من نار ، فى كل تابوت سبعون ألف شجرة من الزقوم ، تحت كل شجرة سبعون ألف قيد من نار ، مع كل قيد سبعون ألف سلسلة من نار ، وسبعون ألف ثعبان ، طول كل ثعبان ألف ذراع ، فى جوف كل ثعبان بحر من السمّ الأسود . وسبعون ألف عقرب ، لكل ألف ذنب ، طول كل ذنب ألف ذراع ، فى كل ذنب سبعون عقرب ألف فقرة ، فى كل فقرة سبعون رطلا من السم الأحمر (والطور وكتاب مسطور فى رقّ منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور) . يا موسى ما خلقت هذه النيران إلا لكلّ عاق لوالديه ، ولكلّ بخيل ونمام ومراء ومانع الزكاة من ماله . والزانى وآكل الربا . وشارب الخمر وظالم اليتيم ، والأجير الغادر والنائحة وجامع الحرام وناسى القرآن وكل فاجر ومؤذى الجيران والفتان وتارك الصلاة (إلا من تاب وآمن الخ) . يا موسى لولا العصاة والمذنبون لأمطرت السماء عليهم فى كل جمعة ، ولأثمرت الأشجار فى كلّ شهر ، وولدت الغنم فى كل ثلاثة أشهر ، والبقر فى ستة أشهر ، وكان الناس آمنين

من اليأس والقحط والبلاء ، وفتحت عليهم أبواب السماء والرحمة ؛ ثم قال : يا موسى لاتأكل مالم يذكر اسم الله عليه ، ولا تأكل النجس فإنه حرام . يا موسى لا تسلم على تارك الصلاة وشارب الخمر وهو مداوم عليه ، ولا تحلف باسمى ولا بكتابى كاذبا . ياموسى لا ترحم من حلف بكتابى كاذبا . يا موسى إياك والكذب ، فالكاذب أمحو اسمه من ديوان الصالحين وأكتبه من أهل النار . يا موسى لا تلعن أحسن من خلق اللهُ إلا الشيطان ، واللعنة على غير الشيطان ترجع على قائلها . ولا تلعن الدوابّ لأنها مخلوقات . يا موسى إياك والغضب فإنه من الشيطان ، والشيطان من النار ؛ فالغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل . يا موسى قل لبنى إسرائيل يحاذرونني ويخافون مكرى ، فإن من لم يأمن مكرى وعذابى صرعته صرعة تجعله من الهالكين . يا موسى من تصدّق لوجهى سرّا أوجهرا نشرت عليه رحمتى صباحا ومساء ، ومن قدر وُعفا نظرت إليه فى كل يوم سبعين مرة ، والذى أنظر إليه بعين الرحمة لم أعذّبه . يا موسى ابن عمران من جهز ميتا وحفر له قبرا لوجه الله بنيت له قصرا فى الجنة ، ومن كسا عريانا كسيته ديباجا من حلل الجنة ؛

يا موسى رحمتى وبركتى على من أكرم الضيف الفقير . فإذا رأيته مقبلا فقل له مرحبا بضيف الله فهو شعار الصالحين . وإذا أضافك الغنىّ فهو ضيفك لاحمدا ولا شكرا . يا موسى إذا جمعتُ الغنى والعافية فى شخص مع قلة العبادة فاعلم أنى هالكه وهو من الهالكين فى الآخرة . فالعجلة من الشيطان . ياموسى لا تكن بخيلا ولا تحبّ البخيل . ولا تكن كاذبا ولا تحبّ الكاذبين . ولا تكن مغتابا ولا تحبّ المغتابين . ولا تكن فاسقا ولا تحبّ الفاسقين . ولاتكن ظالما ولا تحبّ الظالمين . ياموسى إذا أصبحت فكن مستعدا للموت ، فإن ملك الموت ينظر إلى كتاب أجلك سبعين مرّة . فإذا أمسيت فلا تؤمل أن تعيش إلى الصباح فلا تدرى متى أجلك ، فربما تقبض وأنت نائم يا موسى خفى خوفك من سبعين سبعا وأنت منفرد فى أرض فلاة بلا أنس ولا سلاح . ولا تنسى من الذكر فأنساك من الذكر . يا موسى إذا كنت فى ذكرى عند الناس كنت فى ذكرك عند ملائكتى ، قال يا رب وكيف لا أذكرك وأنت موضع السرّ والنجوى وخبير بكل شكوى؟ لاإله إلاأنت سبحانك إنك على كل شىء قدير . ثم قال : يا بّ أوصنى قال : كن مشفقا على خلقى ، قال نعم : فأراد الله أن يظهر

شفقته للملائكة . فأرسل ميكائيل فى صفة عصفور وجبرائيل فى صفقة شاهين يطرده ، فجاء العصفور إلى موسى وقال أجرنى من الشاهين ، فأجاره ، فجاء الشاهين وقال : ياموسى هرب منى طائر وأنا جائع ، فقال أسدّ جوعك بلحمى ، فقال لا آكل إلا من فخذك ، قال نعم ، قال لا آكل إلا من عينك ، قال نعم ، قال لله درّك ياكليم الله ، أنا جبرائيل والطير ميكائيل ، أرسلنا الله إليك ليظهر شفقتك للملائكة ردّا عليهم فى قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) ، جعلنا الله من أهل الشفقة والكرم آمين

الباب الأول

قال كعب الأحبار : أوحى الله إلى نبيه موسى أنى إلهك الذى أخرجتك من أرض مصر ومن رقّ العبودية لفرعون لايمكنك أن تتخذ إلها غيرى ، ولا تصنع لك تمثالا تنحته بيدك ، ولاصورة من الأشياء التى تراها فى السموات والأرض ولا تسجد لها ولا تعبدها من دونى ، لأنى غيور ؛ من تقرّب إلىّ تقرّبت إليه ، ومن عبد غيرى غضبت عليه ؛ ومن تمسك بأوامرى واجتنب نواهىّ أخذت بيده . يا موسى لا تحلف

بحياتى باطلا فيحلّ عليك غضبى . يا موسى حافظ على يوم السبت وعظمه من أجلى . ولا تشتغل فيه أنت ولا أهل بيتك ولا خادمك ولا ضيفك . يا موسى وقّر والديك وأطعهما تعش طول حياتك محمودا . ولا تقتل النفس البشرية إلا بالحقّ ، فإن ذلك ذنب عظيم . لا تمدنّ عينك إلى مال جارك ولا إلى زوجته . ولا إلى ما آتيته من النعم وبسطت له فى الرزق . يا موسى لاتكن حسودا . فإن الحسد داء يودى بصاحبه وليس له دواء . كالنار إن لم تجد ما تأكله أكلت بعضها . يا موسى لا تزن . فإنّ الزنا فاحشة قبيحة ملعونة ، ومن يزن لابدّ أن يدفع الثمن غاليا . يا موسى قل لبنى إسرائيل لايعبدوا الذهب ولا الفضة . بل يجعلوا العبادة خالصة لوجهى أجازيهم بها أفضل الجزاء . يا موسى النار لمن عصانى ولو كان شريفا قرشيا . والجنة لمن أطاعنى ولو كان عبدا حبشيا .

الباب الثانى

ما أوحى الله تعالى إلى موسى من الأحكام

يا موسى إذا اشتريت عبدا أو أمة فخذ الرقّ ستّ

سنين وبعدها يكون حرًّا . فان كنت اشتريته فزوجته له ؛ وإن كنت أعطيته زوجته فهى لك ؛ فان شاء العبد أن لا يفارقك فاجعل فى أذنه علامة ؛ وأبقه عندك ، وأكرمه بقية حياته . يا موسى من اتخذ له جارية فليكرمها بالطعام والكسوة ، وإذا حظيت عنده غيرها فلا ينقص من إكرام هذه ولا يبيعها إلى قوم لا ترضاهم . ولا يفرّق بينها وبين أولادها . يا موسى من قتل متعمدا قُتِل . النفس بالنفس . والعين بالعين . والسنّ بالسنّ إلا من خطإ . من ضرب أباه أو أمه يقتل ؛ ومن جرح آخر فعليه تعويض عطائه ؛ ومن ضرب عبده أو أمته بعصاه فقتله ينتقمُ منه ؛ ومن استرق إنسانا ظلما فباعه أو استأسره يقتل ؛ ومن أسقط حاملا يغرم العوض ؛ ومن أتلف عين عبده أو أمته يعتقه ، وإن كسر سنه أو ضرسه يعتقه . ياموسى إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فقتله يرجم الثور ولا يؤكل لحمه ، وأما إن كان صاحب الثور رباه على النطاح فيقتل معه . ياموسى من حفر بئرا فى الطريق فتردّى فيه إنسان فعليه ديته ، وإن وقع فيها حيوان فعليه عوضه . يا موسى لا تضع يدك فى يد كذّاب ولا منافق ، ولا تصاحبه ولا تعاشره لئلا تكون شريكا له ؛ وابتعد عن الكذب . يا موسى لا تمدّ يدك إلى الرشوة

فانها تعمى المبصرين وتردّ الباطل حقا والحقّ باطلا . ولا تهن الغريب ، فانك تعلم نفس الغريب وقد كنت غريبا فى أرض . يا موسى كل من نذر نذرا فعليه الوفاء به ، وكل من أقسم بحياتى فعليه البرّ بيمينه ، ومن حنث فى نذره أو فى يمينه فانى أعذّبه عذابا شديدا

الباب الثالث

قال الله تعالى : يا موسى بن عمران أتحب أن تستغفر لك البهائم ؟ قال : نعم يا ربّ ، قال : نقّ بطنك من أكل الحرام. يا موسى أتحبّ أن تكون مع السابقين إلى الجنة ؟ قال : نعم يا ربّ ، قال فرّج عن المكروبين . يا موسى أتحبّ أن أثقل ميزانك ؟ قال : نعم يا ربّ ، قال : حسن خلقك مع الناس واحمل الأذى منهم . يا موسى أتريد أن أنشر عليك رحمتى فى كل يوم صباحا ومساء ؟ فقال : نعم يا ربّ ، قال : كن لليتيم كالأب الرحيم ، وللأرملة كالزوج الشفيق ، وكن للغريب كالأم الحنون ، وكن شفوقا على المخلوقات . يا موسى أتحب أن تكون لك حسنات بعدد المخلوقات ؟

قال : نعم يارب قال : قل أستغفر الله العظيم من الذنب العظيم ، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم ، تقولها فى كل يوم خمسا وعشرين مرة فى كل صباح ومساء . يا ابن آدم إن أردت رضاء الله عليك فقدم مالك بين يديك ، وكل من كد يدك وعرق جبينك ، ولاتأكل بدينك ، ولا تشك مصيبتك لمخلوق مثلك ، ولا تفرح بما أعطيتك فإنى لا أحب الفرحين . يا ابن آدم لاتجاور الأشقياء ولا تجالسهم ، فإن مجاورة الأشقياء والفساق ومجالستهم تزيدك قسوة القلب ، وتزيد فى إتيان المعاصى والفجور . وتبعده عن التبصر فى العبادات . يا ابن آدم قل الحق ولو على نفسك ، وما النصر إلا من عند الله ، وأكثر من قول لا إله إلا الله ، وقل : اللهم بارك لى فيما قبل الموت وبعد الموت ، وأنا أستجيب لك ، فإنى أنا الغفور الرحيم ، وإنى على كل شىء قدير . ثم قال الله تبارك وتعالى : ياموسى كيف رغبت فى دنيا فانية ونعيمها زائل وحياتها منقطعة وإثمها باق ، وإن عندى للمطيعين الجنان بأبوابها الثمانية ، فى كل جنة سبعون ألف روضة من الزعفران ، فى كل روضة سبعون ألف مدينة من الياقوت ، فى كل مدينة سبعون ألف قصر من الياقوت فى كل قصر سبعون ألف دار

من الزبرجد . فى كل دار سبعون ألف بيت من الذهب . فى كل بيت سبعون ألف دكان من السندس . فى كل دكان سبعون ألف مائدة من العنبر . على كلّ مائدة سبعون ألف صحفة من الجوهر . فى كل صحفة سبعون ألف لون من الطعام . وداخل كل دكان سبعون ألف سرير من الذهب الأحمر ، على كل سرير سبعون ألف فراش من الحرير والديباج ومن السندس والإستبرق ، داخل كل سرير ألف نهر من ماء الحياة واللبن والخمر والعسل المصفى ، فى كل نهر سبعون ألف خيمة من الأرجوان ، فى كل خيمة سبعون ألف فراش ، على كل فراش حوراء من الحور العين بين يديها سبعون ألف وصيفة كأنهن بيض مكنون ، على رأس كلّ قصر من تلك القصور ألف قبة من الكافور . فى كل قبة ألف هدية من الرحمن ، وفيها مالاعين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون) لايموتون فيها ولايجزعون ولايحزنون ولايبكون ولايعجزون ولايمرضون ولايسقمون ولايتغوّطون . (لايمسهم فيها نصب وما هم منها

بمخرجين) فمن طلب رضائى وأراد كرامتى فليتقرّب إلىّ بالصدق والخضوع فى الدنيا ، والقناعة بالقليل من الرزق .

الباب الرابع

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : خذ لوحين من حجر واصعد إلى الجبل ، واصنع لك تابوتا من خشب ، واكتب على اللوحين كلماتى ووصاياى ، وضعها فى التابوت . فصنع موسى من خشب الصندل ونحت اللوحين وصعد إلى الجبل ، فأوحى الله إليه بهذه الكلمة : يا موسى آنا الله إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ، وحرّرك من ذل العبودية والرقّ فى بيت فرعون ، ونجاك منه ومن ظلمه ، فلا تعبد إلها غيرى ، ولا تشرك بى أحدا فى ملكى . يا موسى لا تصنع لك تمثالا ولا تتخذ صنما ولاصورة ولاشكلا من أشكال مخلوقات السموات والأرض ، ولاتسجد لأحد أبدا من مخلوقاتى ، ولا تفرده بالعبادة ؛ بل إياى فاعبد ، ولى وحدى فاسجد (أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى ، إن الساعة آتيـة أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) :

ياموسى تحبب إلى من يحبنى . وأبغض من يبغضنى . وأحسن لعبادى . وحافظ على أوامرى . يا موسى لا تنطق باسمى عبثا ولاهازئا . ولا تحلف بحيانى باطلا . يا موسى حافظ على يوم السبت لعبادتى . كما شرعت لك ذلك . وأمر شعب بنى إسرائيل بذلك . وألزمهم به . وليكن يوم عبادة وتقديس . لا يوم عمل وتجارة . يا موسى أكرم والديك ولاتنهرهما (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) ياموسى لاتقتل . فمن قتل يُقتل . ولاتزن بحليلة جارك فترجم . ولاتسرق فتقطع يدك . ولا تشهد شهادة زور . ولاتتطلع بعينك إلى الأموال والأعراض . ولا إلى بساتين غيرك وماشيته . يا موسى قل لبنى إسرائيل لايصنعوا آلهة من ذهب وفضة بأيديهم ثم يعبدونها من دونى . يا موسى إنى لم أكلم بشرا بدون واسطة غيرك . لأنى اطلعت على قلبك فوجدتك صادق العبودية طاهر النفس مخلص العبادة . فاخترتك لتكون رسولا نبيا ، ولتكون كليما نجيا . ياموسى أيقظ النائمين من غفلتهم ، وحذرهم يوم الفزع الأكبر والهم الأغبر (يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم) يا موسى سيجمع الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد ، فيحاسبون على كل كبيرة وصغيرة (فمن

يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره) .
قال موسى : يا رب وهل يكون هناك خلاص من العذاب ؟
قال : يا موسى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) . يا موسى يجمع الخلائق يوم القيامة فيأخذهم العرق من حرّ الشمس والقيظ ، فيستجيرون فلا يجارون ، ويصرخون فلا يجابون ، حتى أفصل بينهم بالحقّ وأنا خير الحاكمين . قال موسى يا ربّ فمن يشفع لهم ؟ قال يا موسى إنى لم أؤت الشفاعة إلا لمحمد حبيبى ، أرسله خاتم الأنبياء ، وأوتيه القرآن العظيم هدى للناس وبينات ، فيه الهدى للضالين ، والشفاء للمتعلمين ، والدواء للمزمنين ، وفيه علم الأولين والآخرين . يا موسى إنى لا أرضى أبدا على من يكذّب برسالته وينكر معجزته ويعادى أمته . قال يا موسى يا ربّ ومن تكون أمته ؟ قال : يا موسى هى خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ليلا ونهارا ، ويؤتون الزكاة والصدقة سرّا وجهرا ، ويحجون إلى بيتى المحرّم نساء ورجالا ، ويصومون شهر رمضان المعظم تعظيما وإجلالا ، ويكونون شهداء على من مضى من الأمم

الخالية والقرون الماضية . قال موسى : فهل لى أن أكون منهم؟ قال : يا موسى من وحدنى ولم يشرك بى شيئا ، وصدّق برسالة نبيّ ورسولى وحبيبى محمد بإخلاص نية وطهارة طوية ، وآمن باليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلا ، جعلته من أمة حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم وحشرته معها ، وشفعته فيه ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر . يا موسى قل لبنى إسرائيل لاتخمشوا وجوهكم ، ولا تقطعوا أثوابكم على ميت ، ولا تحثوا التراب على وجوهكم ، واصبروا على ما يصيبكم من المصائب أجعل لكم أجرا عظيما وثوابا جسيما . ياموسى قل لبنى إسرائيل لاتأكلوا النجس من البهائم والوحوش بل كلوا البقر والضأن والمعز والإبل والظبى والمهاة ، وكل بهيمة تجترّ وكل مشقوقة الظلف . ولا تأكل الخنزير فإنه رجس ، كلوا مما تصيدون من البحر والنهر وكل طير طاهر إلا الكواسر مثل النسر والعقاب والحدأة والباشق والشاهين والغراب والنعامة والبازى والبوم والببغاء والخفاش . يا موسى لو تقربت إلىّ بكل ما على وجه الأرض من ذهب وفضة وأنعام وزرع وكان

فى قلبك مثقال ذرّة من الشرك ما تقبلت منك عملك ورددته عليك .

الباب الخامس

فى بيان فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم

قال وهب بن منبه : لما قرأ موسى الألواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : يا ربّ ما هذه الأمة المرحومة التى أجدها فى الألواح ؟ قال ، هم أمة محمد يرضون باليسير من الرزق وأرضى منهم باليسير من العمل ، أدخل أحدهم الجنة بالإقرار لى بالألوهية وبالرسالة لرسولى ؛ قال : فإننى أجد فى الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى ، فقال : تلك أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرّا محجلين ، قال : يا ربّ إنى أجد فى الألواح أمة أرديتهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤوس الصوامع ، يطلبون الجهاد بكل الآفاق حتى يقاتلوا الرجال فاجعلهم أمتى قال : هم أمة محمد ؛ قال : يا رب إنى أجد فى الألواح أمة

يصلون فى اليوم خمس صلوات فى خمس ساعات تفتح لهم أبواب السماء . وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال يارب إنى أجد فى الألواح قوما تجعل لهم الأرض مسجدا وطهورا وتحل الغنائم فاجعلهم أمتى . قال هم أمة محمد ، قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يصلون ويصومون شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة يحجون البيت الحرام ليقضوا منه وطرا ، يضجون لك بالبكاء ضجيجا ، ويعجون لك بالتلبية عجيجا فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال فما تعطيهم فى ذلك ؟ قال : أعطيهم المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم ؛ قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة قليلا حملهم ؛ يعلفون البهائم ، ويستغفرون من الذنوب ، يرفع أحدهم اللقمة إلى فيه فلا تستقر فى جوفه حتى تغفر له ، يفتحها باسمك ويختمها بحمدك فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى الصدور يقرءونها فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف فاجعلهم

أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال: يارب إنى أجد فى الألواح أمة إذا هم أحدهم بالسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه ، وإن عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتى ، قال: هم أمة محمد. قال : يارب إنى أجد فى الألواح أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال يارب إنى أجد فى الألواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أثلاث : ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ، وثلث يمحصون ثم يدخلون الجنة ، فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة محمد ؛ قال : موسى يارب بسطت هذا الخير لأحمد وأمته ، فاجعلنى من أمته قال الله تعالى (إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) .

الباب السادس

طلب موسى عليه السلام أخاه هارون وزيرا له

قال وهب بن منبه : لما أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون يدعوه إلى عبادة الله وحده وأن يرعوى عن

غيه وضلاله ، وأن لايستعبد بنى إسرائيل ، خاف موسى عليه السلام من بطش فرعون ، لأنه رُبِّىَ فى قصره ، وشاهد قوّته وكثرة جنوده وظلمه الشديد وعتوّه على العباد وادعاءه الألوهية تعالى الله علوّا كبيرا .

فقال : يارب هب لى أخى هارون يشدّ أزرى ، وأشركه فى رسالتى إلى فرعون ، فإنه فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، واجعله وزيرا لى ومشيرا ، حتى آنس برأيه ، واحلل عقدة من لسانى لأجل أن يفهموا قولى ولايعيرونى بأنى غير فصيح ، واشرح صدرى ، وثبت قلبى ، ولا تجعل للخوف سبيلا على نفسى .

فقال الله سبحانه وتعالى له : يا موسى قد أعطيتك ما سألتنى ، ولقد حفظتك فى الصغر حين ألقتك أمك فى اليمّ خوفا من فرعون وبطشه ، وعطّفت عليك امرأة فرعون تربيك فى قصره تحت سمعه وبصره ، وأرجعتك إلى أمك ترضعك بعد ما كانت حزينة على فراقك ، ونصرتك ونجيتك إذ قتلت الرجل الذى كان يتشاجر مع الإسرائيلى ، ثم خرجت إلى أرض مدين ، فحفظتك وعطفت عليك قلب شعيب ، فزوّجك ابنته ، ولبثت معه سنين فى إكرام وإنعام . ياموسى قد أجبت

سؤلك كله وأيدتك بآية ، وهى أن يدك تصير بيضاء تنير لك الظلام من غير نار ولا حرق . وعصاك اغرسها فى الأرض تكن شجرة مثمرة مظلة ، تشبعك وترويك وتظلك من حرّ الشمس ، وإذا ألقيتها أمام فرعون صارت حية تمشى يخاف منك وتنكسر شوكته ، اذهب يا موسى أنت وأخوك هارون وأدّيا رسالتى ؛ فإنى معكما وأنا السميع البصير .

الباب السابع

قال موسى عليه السلام : يا ربّ مَن مِن عبادك أصْبَرُ ؟ قال : الذى إذا غضب كتم غضبه ، وصبر على أذية جاره ؛ قال : يا ربّ أىّ عبادك أعجز ؟ قال : الذي يطلب الجنة بغير تضرّع ودعاء ، ويطلب الشفاعة بغير تحمل المشقة . قال موسى : يا ربّ أىّ عبادك أبخل ؟ قال : الذى يردّ السائل خائبا وهو قادر على إعطائه ، وأبخل منه الذى يبخل على أخيه المؤمن بالسلام ، وأبخل منه من ذكر عنده اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصلّ عليه ، وله بكل صلاة عشر حسنات وتمحى عنه عشر سيئات ، فكيف يبخل بها ويحرمها ؟ قال موسى :

يارب أى عبادك أنور قلبا ؟ قال : ياموسى من كان الموت أحبّ إليه من الحياة ، والفقر أحبّ إليه من الغنى ، والذلّ أحبّ إليه من العزّ ، فهذا هو الزهد ؛ قال موسى : يارب وأىّ عبادك أقسى قلبا ؟ قال : أطولهم أملا وأقلهم بكاء من خشيتى ؛ قال موسى : يارب أىّ عبادك أظلم ؟ قال : الذى لا يخشى مكرى ولا يبالى فيكون ظالما نفسه ، ولا يبالى من معصيتى ، ولا يطيعنى فيما أمرته ؛ قال موسى : يارب دلنى على عبيدك من يكون مؤمنا حقا ؟ قال : ياموسى من رأيته متواضعا يطيل السكوت ، ويجوّع نفسه ويرضى بالقوت ويترك الشهوات فهو وليّ حقا ؛ قال موسى : يارب أىّ عبادك أقرب إليك ؟ قال : الذى يغتمّ بمعصية المسلمين ويفرح بطاعتهم والخير لهم ، فذلك نعم الرجل هذا خيار الناس عندى ، وخيار الناس عندى من ينفع الناس ويكثر الدعاء لهم ؛ قال موسى : يارب هل رضيت عنى ؟ قال : اسأل جيرانك المساكين ، فإن كانوا راضين عنك فأنا راض عنك .

الباب الثامن

قال موسى عليه السلام : يارب ماجزاء من استفاد علما ليعلم الناس ويفيدهم ؟ قال : أنشر عليه رحمتى ؛ قال موسى : يارب ماثواب من قرأ آية الكرسى بعد كل صلاة؟ قال : أنظر إليه برحمتى يوم القيامة ، وأبنى له قصرا فى الجنة من الذهب الأحمر ؛ قال موسى : يارب ماجزاء من قرأ (قل هو الله أحد) مائة مرة فى اليوم ؟ قال : أغفر له مائة ذنب من ذنوبه وأكتب له ألف حسنة ، وأرفع له ألف درجة . قال موسى ما جزاء من ذكرك عند طلوع الشمس وعند غروبها ؟ قال ياموسى أكتب له حسنات بعدد كل شىء طلعت عليه الشمس ، وأمحو ما فى صحيفته من السيئات التى جناها إن كان مخلصا من غير رياء ؛ قال موسى : يارب ما جزاء من يصلى بالليل والناس نيام ؟ قال اطلع عليه برحمتى وأنشرها عليه نشرا وأستجيب دعاءه ، وأكتب له بكل ركعة ألف حسنة ؛ قال موسى : يارب وما ثواب من استغفرك بالأسحار ؟ قال تستغفر له ملائكتى وتشتاق إليه جنتى وأغفر له باقى عمره ؛ قال موسى

يارب ما ثواب من يصل رحمه ؟ قال : أبارك له فى عمره ، وأستجيب دعاءه ، وأقضى حوائجه ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من قال لا إله إلا الله مخلصا ؟ قال : أثقل ميزانه يوم القيامة ؛ قال موسى : يارب وما ثواب من أطعم مسكينا قال : أغلق عنه ألف باب من المكروه ، وأبارك له فى رزقه ؛ قال موسى : يارب وما ثواب من اغتسل يوم الجمعة ؟ قال : لا أكتب عليه ذنبا سبعة أيام ؛ قال موسى : يارب ما ثواب من حفر قبرا لأخيه المؤمن وما جزاؤه ؟ قال : أبنى له قصرا فى الجنة ومن حمل فيه وصلى عليه لا يرجع إلا مغفورا ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك ؟ قال : ليس جزاؤه إلا الجنة والمغفرة ؛ قال موسى : يارب ماجزاء من قرأ كتابك العزيز ؟ قال : يجوز على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة وهو آمن من عذابى ؛ قال موسى : يارب ما جزاء من هوّن على معسر ؟ قال : أطهر قلبه وأفتح عليه أبواب الرحمة . قال موسى : يارب ماجزاء من سمع النداء وأقبل إلى الصلاة ؟ قال : جزاؤه الجواز على الصراط ودخول الجنة ، وأكتب له وللمؤذن عدد كل شىء بلغه صوته حسنات ؛ قال موسى : يارب ما جزاء من صبر على

يارب ما ثواب من يصل رحمه ؟ قال : أبارك له فى عمره ، وأستجيب دعاءه ، وأقضى حوائجه ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من قال لا إله إلا الله مخلصا ؟ قال : أثقل ميزانه يوم القيامة ؛ قال موسى : يارب وما ثواب من أطعم مسكينا قال : أغلق عنه ألف باب من المكروه ، وأبارك له فى رزقه ؛ قال موسى : يارب وما ثواب من اغتسل يوم الجمعة ؟ قال : لا أكتب عليه ذنبا سبعة أيام ؛ قال موسى : يارب ما ثواب من حفر قبرا لأخيه المؤمن وما جزاؤه ؟ قال : أبنى له قصرا فى الجنة ومن حمل فيه وصلى عليه لا يرجع إلا مغفورا ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك ؟ قال ليس جزاؤه إلا الجنة والمغفرة ؛ قال موسى : يارب ماجزاء من قرأ كتابك العزيز ؟ قال : يجوز على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة وهو آمن من عذابى ؛ قال موسى يارب ما جزاء من هوّن على معسر ؟ قال : أطهر قلبه وأفتح عليه أبواب الرحمة . قال موسى : يارب ماجزاء من سمع النداء وأقبل إلى الصلاة ؟ قال : جزاؤه الجواز على الصراط ودخول الجنة ، وأكتب له وللمؤذن عدد كل شىء بلغه صوته حسنات ؛ قال موسى : يارب ما جزاء من صبر على

ويوسع قبره مدّ البصر ؛ ومن قرأها مائة مرّة غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ؛ ومن داوم عليها فى كل يوم جمعة مائة مرة أكتب اسمه مع الصديقين والشهداء وأجعله رفيق الخضر عليه السلام ، أو كما قال . ومن قال سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خير من أن يتصدق بجبل فضة أو ذهب ، وخير من الدنيا وما فيها ، وخير من عتاق الرقاب ، وله بكل تسبيحة شجرة فى الجنة ، وشجرة من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، والله ذو الفضل العظيم .

الباب التاسع

قال موسى : يارب ما جزاء من أكل مال اليتيم ظلما وعدوانا ؟ قال : أملأ جوفه نارا ، وأسلط عليه الزبانية يلجمونه بلجام من النار ويرمونه فى بطن جهنم . وفى الدنيا أرفع البركة من رزقه وعمره ، قال موسى : يارب ما جزاء من احتال على الناس وأكل أموالهم ظلما وعدوانا ؟ قال أغلق عليه أبواب رحمتى وآخذ من حسناته وأضع أوزار

المظلوم عليه ويعذب عليها ؛ قال موسى : يارب فما جزاء من أكل الربا ؟ قال : يلعنه كل شيء طلعت عليه الشمس . وأملأ جوفه نارا من لهيب جهنم ؛ قال موسى : يارب ما جزاء الزانى إذا مات زانيا ؟ قال : إنه يموت جنبا وعليه درع من النار ، ويعذب فى سبعين نوعا من العذاب ؛ قال موسى : يارب وماجزاء من خان مسلما وغدره ؟ قال : أغلق عليه أبواب رحمتى وأجعله فى الهاوية مع الذين يعذبون ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من احتكر طعاما وخزنه يريدبه الغلاء لعبادك قال : أبدل حسناته بسيئآت وأجعله من الذين كذبوا بآياتى وكتبى وخالفونى وعصو رسلى ، ويكون فى الدرك الأسفل من النار ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من استخف بالعلم واستهزأ به ؟ قال : يكون من الذين استهزءوا بآياتى ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من رمى محصنة بماليس فيها قال : تلعنه ملائكتى بكرة وعشية ويكون الرب عليه غاضبا ويكون فى النار ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من استأجر أجيرا على عمل ثم منع أجرته بعد ما استحقت ؟ قال : أحرم عليه جنتى ؛ قال موسى : يارب ما جزاء من آذى مسكينا ؟ قال : أسلط عليه الآفات فى قبره ، والزبانية تدق رأسه ؛ قال

موسى : يارب ما جزاء من أعان ظالما على ظلمه ؟ قال : لا أقبل منه حسنة ، ولا أرفع عنه سيئة ، ويكون شريكه فى الظلم ؛ قال موسى : يارب وما جزاء من سرق من أخيه المؤمن شيئا ؟ قال : أطوقه فيها يوم يحشر فى قبره ، وينفضح على رؤوس الخلائق ونحشره إلى النار ؛ قال موسى يارب فما جزاء من يغتسل من الجنابة ولا يبالى من النجاسة ولا من الحرام ؟ قال : تضرب وجهه النار من كل جانب ومكان يوم القيامة ، قال موسى : يارب وماجزاء من طبخ طعاما ولم يطعم جاره وهو مضطر ؟ قال : أبتليه بالفقر ولا أبالى .

الباب العاشر

قال موسى : يارب أريد أن أسألك عن أشياء وأنا خائف منك ، فلا تؤاخذنى ؟ قال : فاسأل يا موسى ما بدا لك ، ولا تخف ، فإنى أنا الحكيم الكريم ، أحلم على من عصانى ، قال يارب أين أنت ؟ قال : أنا فى قلوب عبادى المنكسرين النقية من المعاصى ؛ قال : ومن النقى قلبه ؟ قال : الذى يتقى الحلال مخافة أن يقع فى الحرام ، فقلوبهم منورة بذكر الله تعالى ؛ قال : أخبرنى عن أول مخلوق خلقته قبل كل شىء ؟ قال الله تعالى : ياموسى قبضت قبضة من نور وجهى فقلت لها كونى حبيبى

محمدا صلى الله عليه وسلم . فصارت كوكبا تسبحنى ، فكان هو أول مخلوق خلقته ، وآخر مبعوث بعثته برسالتى ، وهو أوّل من عبدنى فى الغيب ثمانين ألف عام ، قال : سبحانك أنت الذى تغضب وأنت الذى ترضى ، لاإله إلا أنت إنك على كل شىء قدير ؛ قال : يا موسى إذا غضبت على عبد سلبت عنه طاعتى ، وأشغلته بدنياه عن آخرته حتى يلقانى ولاحسنة له عندى ؛ قال موسى : يا ربّ وكم لك فى الألوهية ؟ قال : ياموسى قد سألت عن أمر عظيم : وهو فى غامض علمى وباطن قدرتى ، وعزّتى وجلالى وعلوّ مكانتى ، لولم تسبق رحمتى غضبى لأحرقتك بنارى ولا أبالى ، ومحوت اسمك من ديوان النبوة ؛ قال موسى : يا رب ولم ذلك ؟ قال : إنك جعلتنى فى بداية ولابداية لى ولا نهاية ، أنا الأول قبل كل شىء ، والآخر بعد كلّ شىء . فعند ذلك خرّ موسى صعقا مغشيا عليه . فلما أفاق قال : سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين . يا ربّ ما أنت بعجول ، وإنما أردت أن أعلم سبق علمك فى بدايتك ؛ قال : ياموسى أنا كنت ولاشىء أبدا . خلقت ثمانين ألف مدينة وكل مدينة بقدر دنياكم هذه سبع مرّات ثم ملأت المدائن خردلا ، ثم خلقت طيرا أبيض ؛ ثم جعلت مافى هذه المدائن رزقا له يأكله هنيئا مريئا ، فقلت له : ما فى هذه المدائن فهو رزقك . فإذا

أكلت ما فيها من الخردل أذقتك الموت وسكراته . فجعل يأكل الطير طول دهره . فلما رأى الطير قد صار الخردل قليلا صار يأكل كلّ يوم خردلة دهرا طويلا . ثم جعل يأكل فى كل سنة حبة واحدة خوفا من الموت حتى أكل جميع ما فى المدائن من الخردل حتى بقيت حبة واحدة فأخذها فى منقاره وبقيت ما شاء الله ، ثم ابتلعها فلما ذاق سكرة الموت صاح صيحة عظيمة قال : يارب ما أقلّ هذا العمر اجعل لى عمرا طويلا ، وارزقنى رزقا كثيرا ، فإنى سبحتك وحمدتك على كل حبة فهو أهون علىّ من الموت وسكراته ، قال : فمات الطير ياموسى . ثم إنى أسكنت كل مدينة من تلك المدائن سبعين ألف رجل خلقتهم ، لامن الملائكة ، ولامن الجنّ ، ولامن الإنس . وقلت : كونوا فكانوا ، وجعلت عمر الواحد سبعين ألف عام يعبدونى ، فعصانى رجل منهم ، فضربت تلك المدائن بعضها ببعض وأهلكتهم جميعا بمعصية واحد منهم . ثم بعد ذلك خلقت عشرة آلاف آدم ، وعمر كل واحد منهم عشرة آلاف سنة ثم بعد عشرة آلاف سنة خلقت أباك آدم ياموسى ، فهل عرفت كم لى فى الألوهية؟ قال : فعند ذلك خرّ موسى صعقا ساجدا ، وبقى يختلج مثل الطير المذبوح غشيانا ستة أيام بلياليها من هيبة الله تعالى . فلما

أفاق قال : سبحانك تبت إليك وأنا أوّل العابدين . سبحانك لا إله إلا أنت الله القديم الأزلىّ إله الأوّلين والآخرين .

الباب الحادى عشر

قال موسى : ياربّ أى جهة وجهك يستقبل المشرق أو المغرب ؟ قال : يا موسى أما ترى فى هذا الوادى نارا من أين وجهها ؟ قال : ياربّ من كل جانب أرى وجهها ، قال : ياموسى وجهى كذلك فى كل جهة ومكان ، كما ذكر فى آية (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال موسى : ياربّ من أكثر عبادك؟ قال : الملائكة . وهم اثنا عشر سبطا ، قال : ياربّ كم عدد السبط ؟ قال : كل سبط بعدد الإنس والجن والمخلوقات من بهيمة ووحش وطير وجراد ونمل اثنى عشر مرة . قال : موسى : ياربّ أريد أن أسألك عن مسألة خطرت ببالى ، قال : اسأل عما شئت أجبك ، فإنى قريب منك ، قال : ياربّ أحب أن أرى عرشك وأرى من عجائب السموات ، فعند ذلك أمر الله تبارك وتعالى الملائكة أن تفتح أبواب السماء ، وأن ترفع الحجب ليرى موسى عجائب السموات . ففعلوا ما أمرهم ، قال : انظر إلى عِظَم قدرتى ، قال : فنظر موسى فرأى الملائكة على أصناف منهم ساجدون لا يرفعون رؤوسهم . ومنهم قيام

لا يركعون ، ومنهم ركوع لا يسجدون ، ومنهم قائمون على قدم واحد يعظمون الله ويقدسونه ويوحدونه ويمجدونه وهم له مطيعون ، ثم رأى حملة العرش ورأى مكتوبا عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ثم رأى قناديل معلقات بالعرش وهى تظهر بالنور ، قال : يارب ماهذه القناديل ؟ فقال : هذه القناديل فيها أرواح الأنبياء والمرسلين والصدّيقين والشهداء والصالحين قال : ورأى قنديلا ضوؤه يزيد نورا على الشمس والقمر والعرش والكرسى ؛ فقال : يارب ما هذا النور ؟ قال نور حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لو قسم ذلك النور لملأ السموات والأرضين ، يا موسى اسمع ما أقول لك ، ما خلقت خلقا من المخلوقات أنور ولا أكرم ولا أعلم ولا أفهم ولا أعظم ولا أحكم ولا أقدر ولا أبصر ولا أظهر ولا أكمل من نور حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم . يا موسى لقد أفلح من كان من أمته وآمن به وصدّق بنبوّته واتبع سنته ، ومن صلى عليه أدخلته جنتى ولا أبالى ، ومن لم يصلّ عليه أدخلته نارى ولا أبالى ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما ؛ وعزّتى وجلالى إنه لا ينال رحمتى إلا من أكثر الصلاة على حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ، قال موسى : يارب إنى أرى تحت عرشك رجلا لم أر رجلا أظهر ولا أضوأ وجها منه ، من يكن هذا الرجل ؟ وهو

فى قبة بيضاء ؟ قال : هذا رجل من بنى إسرائيل ، قال : يا ربّ وبم نال هذه الكرامات ؟ قال : يا موسى كان يلزم الصمت ولا يتكلم بغيبة ولا نميمة ولا كذب ولا رياء ولا عدوان ويصبر على طاعتى . فرفعته فوق الملائكة ، وكان هذا جزاءه عندى . قال موسى : يا ربّ إنى أرى تحت عرشك قصورا عظيمة من الذهب الأحمر لمن هذه ؟ قال أقسمها على الطائعين المتقين من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قال موسى : يا ربّ فقد فضلته على أنبيائك وكثير من خلقك وخصصته بالشفاعة ، لأىّ شىء هو أحبّ إليك منى ؟ قال : ياموسى أنت كليمى : ومحمد حبيبى ، فالحبيب أقرب من الكليم ، وأنت ناجيتك على جبل طورسينا ، وأناجى محمدا صلى الله عليه وسلم فوق العرش : وهو أقرب من قاب قوسين أو أدنى ، فهو أحبّ إلىّ من جميع المخلوقات ، وأمته أحبّ إلىّ من جميع الأمم ؛ قال : يا ربّ لأىّ شىء أحببتهم وفضلتهم على سائر الأمم ؟ قال : لكرامة نبيهم عندى : ولعشر خصال فيهم ، قال ماهى يارب ؟ قال الأولى الصلوات الخمس ، ومن لا صلاة له لا إيمان له ، ولا حظ له فى الإسلام . والثانية صوم رمضان . والثالثة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . والرابعة إيتاء الزكاة . والخامسة حجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلا . والسادسة

صلاة الجمعة . والسابعة الغسل من الجنابة . والثامنة صوم عشر من محرم ويوم عرفة . والتاسعة جلوسهم بحلقات الذكر يحمدونني . والعاشرة اجتماعهم في مجالس العلم يتفقهون في الدين ويعرفون الحلال من الحرام . ويتكوّن عليهم من الذنوب ما هو أشدّ من الجبال ، فيتوبون وليس عليهم شيء . فخرّ موسى ساجدا : ثم رفع رأسه وقال : يارب إني أسألك عن أشياء من التي تحبها وترضاها لبني آدم ، قال : عليك بطول الصمت إلا في ذكري . يا موسى من ذكرني ذكرته ، ومن تقرّب إليّ تقرّبت إليه ، ومن أطاعني وطلبني تداركته برحمتي ، ياموسى ارحم ترحم ، وأطعم تطعم ، واكس تكس ، وانصح تنصح ، وتواضع ترفع ، ولاتتكبر تهلك . ياموسى أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، فيم تتكبر ، ومرجعك إلى القبر فتكون طعاما للدود ، اعبدني فإني أحبّ من يعبدني ، وادعني فإني أحبّ من يدعوني . يا موسى إذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فاعلم أنها عاجلة عليك ، وإذا رأيتها مدبرة عنك وأنت مرتبط بالفقر فهذا شعار الصالحين ، وأجره باق لك في الآخرة دار القرار . يا موسى كم من غنيّ أفسد الغنى دينه . وكم من عابد أفسد الكبر والعجب عمله . يا موسى اقرأ السطر السابع من التوراة ، فنظر إليه موسى فإذا هو مكتوب فيه : يا ابن آدم من قنع شبع ،

عز من قنع وذلّ من طمع . يابن آدم أفنيت عمرك فى طلب الدنيا فما ربحت . ولو طلبت الآخرة لربحت تجارتك . يا ابن آدم لا تحرص على الدنيا وتبخل ؛ فإنّ الحريص محروم ، والبخيل مذموم ، والكريم مكروم ؛ والرزق مقسوم ، والدنيا لاتدوم. يا ابن آدم ربيتك فى بطن أمك وأخرجتك صحيحا سليما ، ثم حننت عليك الوالدين بالرحمة والشفقة ، ورزقتك من ثدى أمك لبنا خالصا سائغا . وكان لك ذلك غذاء ، ثم رزقتك العقل والقوّة لتعبدنى وتذكرنى كثيرا . وأنا أذكرك برحمتى . يا ابن آدم لا يغرّنك ما لُك فتطغى فيه ، فإنى عزيز ذوانتقام . يا ابن آدم من أطاعنى نجا ؛ ومن عصانى هلك ، ومن ترك الحرص استراح ، وخلص نفسه من الذنوب . يا ابن آدم لو سمعت ما تقول الأرض لذاب لحمك عن عظمك ؛ تقول : يا ابن آدم تضحك على ظهرى وغدا تبكى فى بطنى ومصيرك إلىّ ؛ وتعصى علىّ وتجمع المال وغدا تحاسب عليه فى بطنى حزينا مقهورا ؛ يا ابن آدم أنا بيت الأحزان ، وأنا بيت الوحشة ؛ أنا بيت الغربة . أنا إما أن أكون روضة من رياض الجنة ، أوحفرة من حفر النيران . يا ابن آدم أنا بيت الدود ، وأنا آكل من لحمك كما أكلت من أثمارى ، وأشرب من دمك كما شربت من أنهارى ؛ يا ابن آدم تقبل على القبر

ويطلع مع جنازتك ثلاثة كنتَ تحبهم : أهلك ، ومالك ، وعملك ؛ أما أهلك وأحبابك وجيرانك الذين كنت تحبهم وتفديهم بروحك وتصرف عليهم الأموال ؛ فحينما يدفنونك تحت التراب يرجعون عنك ؛ وأما مالك فيتفارقه الورثة بينهم ، ويأكلون مالك الذى كنت تمنعه عنهم ؛ وأما جيرانك فيتحدثون بما كنت تفعله معهم قبيحا أو مليحا ، ولا يدخل معك فى قبرك إلا عملك ، فإن كان صالحا تجده مؤنسا لك يوم القيامة وسراجا لك فى القبر ، وينتح لك باب الجنة ويصير روضة من رياض الجنة ؛ وإن كان عملك قبيحا فتضجع فى قبرك أشرّ اضطجاع ، ويفتح لك باب إلى جهنم ، فتشمّ رائحتها وترى مقامك فيها ، وإذا سألك الملكان : منكر ونكير لاتبدى ولاتردّ ، فتقول لا أدرى ، فعند ذلك الزبانية تعذبك ، فهنالك لاصديق ينفع ولاخليل يشفع . قال : يا ربّ علمنى فائدة أنجو بها ، قال : عليك بالعلم وحسن الخلق ، وطول الصمت والسكوت عند الغضب . يا موسى لا شىء أنفع من العلم ، ولا برّ أعظم من التقوى ، ولا شىء أجود من ترك المعاصى ، ولا تجارة أربح من القناعة ، ولا عيش أحلى من العافية ، ولا فقر أذلّ من الطمع ، ولا أخبث من الحرام ، ولا أقبح من الكذب ، ولا تفضل عبادة إلا بخشية الله . يا موسى أتريد أن تعرف

داء الناس ودواءهم ؟ قال : نعم يارب ، قال : يا موسى داؤهم الذنوب ، ودواؤهم الاستغفار ، فإنه يغسل الذنوب غسلا كالثوب الوسخ . يا موسى حرمت النار على ثلاث أعين : عين سهرت فى سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين بكت من خشية الله . يا موسى سبعة تحت ظلى يوم لا ظل إلا ظلى ، والناس فى الحرّ والعذاب الشديد : الأول شاب تائب نشأ فى طاعة الله . والثانى رجل داوم على قراءة (قل هو الله أحد) لوجهى . والثالث من قدر على المعاصى وتركها خوفا منى . والرابع من داوم على الصلوات الخمس فى أوقاتها . والخامس من قنع بالقليل من الحلال عن كثير من الحرام . والسادس من صبر عن المعاصى وتركها . والسابع من صبر على المصائب ومالجّ منها . يا موسى الصبر على طاعتى أهون من الصبر على النار . يا موسى من منع الزكاة من عبادى منعت عنه فى الآخرة جنتى وأدخلته النار مع الكفار لأنه كفر بقولى ، قال الله فى كتابه العزيز (الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) . يا موسى كن تقيا سخيا فإن السخاوة من أحسن اليقين ، ومن كان مؤمنا سخيا وهو فى طاعتى لا شك له الجنة والرضا عندى . يا عبدى إذا أتيت فعل الخير والصدقة فعجل بها لئلا يمنعك الشيطان

فتحرمها قبلى . إن سبعين شيطانا موكلون بمنع الصدقات يا موسى اتق دعوة المظلوم فأنا لا أردّها خائبة ولو كان كافرا. يا موسى قل لمن يرجو مغفرتى يبادر إلى طاعتى ، وقل لمن يخاف من غضبى ينتهى عن معصيتى . يا موسى إذا أفنى العبد عمره فى طلب الدنيا فمتى يطلب الآخرة ؟ ادعنى أرحمك وأنا الغفور الرحيم .

الباب الثانى عشر

أوحى الله إلى موسى عليه السلام : أنى أجعل لأمتك الأرض مسجدا وطهورا ، وأجعل لهم أن يقرءوا التوراة عن ظهر قلوبهم ، وأقبل صلاة الرجل وحده . فأخبر موسى قومه بذلك ، فقالوا : لا نصلى إلا جماعة ، ولا نصلى إلا بوضوء ، ولا نصلى إلا فى كنائسنا ، ولا نقرأ التوراة إلا نظرا ، فجعل الله تعالى : ذلك كله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون) الآية .

وجد موسى عليه السلام قوما من أمته يعبدون ربهم فى بيت المقدس ، لباس الصبر على أبدانهم ، وعمائم الشكر على رءوسهم ، والتوكل بأيديهم ، ونعال الخشية فى أرجلهم

ففرح موسى . فأوحى الله إليه : يا موسى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يوم ركعتان فيه خير من هذا ، قال : يارب أىّ يوم هـذا ؟ قال : يوم الجمعة ؛ السبت لك ، والأحد لعيسى ، والاثنين لإبراهيم . والثـلاثاء لزكريا ، والأربعاء ليحيى ، والخميس لآدم ، والجمعة لمحمد صلى الله عليه وسلم .

إن قوم موسى عليه السلام قالوا : أينام ربنا ؟ قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، فأوحى الله إليه : أن خذ قارورتين واملأهما ماء ففعل فنعس ، فسقطتا من يده فانكسرتا ، فأوحى إليه إنى أمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولو نمت لزالتا .

خرج موسى عليه السلام يوما يرعى غنمه ، فانتهى إلى واد كثير الذئاب ، فأدركه التعب والنوم ، فبقى متحيرا : إن اشتغل بالغنم عجز عن ذلك من غلبـة النوم والتعب ، وإن نام غارت الذئاب على الغنم ، فرمق بطرفه إلى السماء وقال : أحاط علمك ونفذت إرادتك وسبق تقديرك ، ثم وضع رأسه ونام ، فلما استيقظ ، وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام . فتعجب من ذلك ، فأوحى الله إليه : يا موسى كن لى كما أريد أكن لك كما تريد .

الباب الثالث عشر

قال كعب الأحبار : كان موسى صلوات الله وسلامه عليه يقرأ التوراة على بنى إسرائيل، ويشرح لهم هذه الأحكام وغيرها . ويبين لهم الحلال والحرام . وقد صلح حالهم وكثرت أموالهم وازدادت عليهم النعم، وكان الغمام يظلهم وينزل الله عليهم المنّ والسلوى ، وكانت ثيابهم لا تتسخ وبسطت عليهم النعم ؛ فلما عمهم ذلك تكبروا وتجبروا وقالوا : يا موسى أرنا الله جهرة . فأمر الله موسى أن اختر منهم سبعين رجلا وسر بهم إلى الجبل . واستخلف أخاك هارون على عسكرك ؛ ففعل موسى ما أمره به ربه، وسار إلى الجبل ووقف تحته ومعه سبعون رجلا . فقال : يا قوم شدّوا قلوبكم ، فقالوا : شددنا قلوبنا، أرنا الله جهرة ؛ فأوحى الله إلى موسى أن يدعوا . وأوحى الله إلى الملائكة : أن اهبطوا إلى الأرض بأنواركم وحسنوا صوركم ؛ فلما نظر بنو إسرائيل إلى الملائكة وحسن صورهم واختلاف خلقتهم ، أخذهم الرعب واستكانوا وجزعوا وندموا على ما طلبوا . فقال لهم موسى : فما تقولون ، ولم لا تنطقون ؟ فاصطكت أسنانهم وخرست ألسنتهم ، فسمعوا كلاما من السماء :

يابنى إسرائيل . فصعقوا جميعا من ذلك الصوت وماتوا . فحزن عليهم موسى ودعا الله فردّ إليهم أرواحهم بقدرته تعالى ؛ وذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون). قال كعب الأحبار : لما ردّ الله إليهم أرواحهم قالوا : ياموسى قد علمتَ أنا لانطيق أن نسمع كلام الله عزّ وجلّ ، فأنت منه إلينا بلّغنا عنه ؛ فأوحى الله إلى موسى أن قل لبنى إسرائيل يوفوا بعهدى ويؤمنوا بقدرتى ويذكروا نعمتى ؛ ثم إن موسى قال كما ذكر الله فى القرآن العظيم (ربّ أرنى أنظر إليك . قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى) . قال الله : ياموسى طلبت شيئا عظيما لم يطلبه أحد قبلك من خلقى إلا مات ؛ قال : يا رب لأن أراك وأموت أحب إلىّ من أن لا أراك وأموت . قال (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) . وغشى عليه ثلاثة أيام بلياليها . فلما أفاق قال : سبحانك يا رب ، أنت الذى لاتراك العيون ، ولاتخالطك الظنون ، ولا يصفك الواصفون ، وتعلم ما كان وما يكون ، فتقول للشىء كن فيكون ، ترى ولا تُرى ، أنت فى الملأ الأعلى . قال الله : (ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وكتبنا له فى الألواح من كلّ شىء موعظة وتفصيلا لكلّ

شيء ؛ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ؛ سأريكم دار الفاسقين) .

الباب الرابع عشر

دعاء موسى الله تعالى

قال وهب بن منبه : كان موسى عليه السلام يدعو الله تعالى بهذا الدعاء : يارب أنت ملجؤنا قبل أن تخلق الجبال وتبسط الأرض وتجرى الأنهار ، وقبل أن تخلق آدم وبنيه وقبل الأزل القدم أنت خلقت آدم وبنيه ثم تعيدهم بقدرتك إلى التراب . وما عمر الدنيا عندك إلا كلمح البصر . وما الناس إلا كزهرة نضرة أزهرت الصباح ، ثم يبست فى المساء . يارب إن سخطت علينا فنينا . وكنا كهشيم تذروه الرياح ، وإن رضيت عنا حيينا وكنا كضياء الصباح . يارب من يأمن سخطك وغضبك ، أنت القاهر فوق عبادك (تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ترأف يارب بنا ، واجعل أيام عمرنا أيام طاعة وسعادة ، وأشبعنا من الحلال ، واجعل أعمالنا فى رضاك ، ولا تجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين

الباب الخامس عشر

كيف دخل موسى وهارون عليهما السلام على فرعون

دخل موسى ومعه هارون وفى يده العصا على فرعون فقالا له : يافرعون (أرسل معنا بنى إسرائيل ولاتعذّبهم) وأطلقهم ولا تستعبدهم ، فإنا قد جئناك من عند الله تعالى فقال فرعون : وأين هو إلهكم هنا ؟ (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) فشدّد فرعون العمل على بنى إسرائيل وأكثر عليهم العمل . ولم يترك لهم وقتا للراحة والعبادة ، بل ضاعف عليهم العمل ، وضربهم الموكلون بهم ضربا شديدا .

فقال موسى : يا ربّ ماذنب عبيدك هؤلاء سلطت عليهم فرعون وجنوده يضربونهم ضربا شديدا فيعذّبونهم عذابا أليما.

فقال الله تعالى لموسى : ياموسى سوف أنجيهم من العذاب الأليم ، وأخلصهم من الشقاء الدائم المقيم ، وأسكنهم الأرض التى تدرّ لبنا وعسلا ، وأجعلهم شعبا كبيرا . ادخل ياموسى على فرعون ، فقل له : أطلق بنى إسرائيل . وكان عمر موسى عليه السلام حين ذاك أربعين سنة . وهارون ثلاثا وأربعين سنة . فلما دخلا على فرعون وقالا له : (أرسل معنا بنى إسرائيل)

وإلا أهلكك الله بعتوّك . فلما لم يسمع لهما ألقى موسى العصا فصارت حية تسعى . فقال فرعون : هذا سحر ، وعندى سحرة كثيرون . سوف أجمعهم لكم . فلما اجتمعوا ألقوا العصيّ والحبال . فصارت ثعابين بالسحر . ولكن عصا موسى بلعت كل ذلك سريعا . فقال كبير السحرة وكان أعمى : هل انتفخت العصا ؟ قيل له لا ، بل هى على هيئتها ، قال : معاذ الله ، ليس ذلك بسحر ، وإنما هو معجزة من الله ، فآمن بالله هو ومن معه ، فقتلهم فرعون وصلبهم . ثم أظهر موسى عليه السلام المعجزات لفرعون ، فجعل ماء النهر دما أحمر ، ومات السمك فى النهر ، وصار النهر نتنا ، وصار كل ماء فى مصر دما . ثم بعد سبعة أيام فاض النهر بالضفادع حتى امتلأت منه المنازل والطرق ، ولم يبق مكان لم تدخله . ثم سلط عليهم القمل ، فكان كالتراب فى جميع الأرض والأمكنة والمنازل . ثم سلط الله الموت والفناء على مواشيهم جميعا . ثم سلط عليهم الدمامل والبثور والمطر الشديد والبرد والنار . ثم أرسل عليهم الجراد ، فغطى أرض مصر جميعا وملأ البيوت والطرق . ثم أظلمت عليهم السماء ظلاما شديدا ثلاثة أيام لم يبصر أحد أحدا ثم ماتت الأبكار جميعا حتى أبكار البهائم ، ثم استعار العبرانيون من أهل مصر حلاهم وثيابهم وارتحلوا ، وهم نحو ستّ مئة ألف

غير الأولاد . ولما رحل موسى مع بنى إسرائيل عن أرض مصر أخذ معه ثوب سيدنا يوسف عليه السلام ؛ ثم لحقهم فرعون وجنوده ليردُّوهم ثانيا ، وكان معه ست مائة مركب ، وسائر المركبات والجنود فى أرض مصر ، وقال الله تعالى لموسى عليه السلام (اضرب بعصاك البحر) فضرب البحر بعصاه فانشقت فيه طريق عظيمة سرت منها بنو إسرائيل جميعا ؟ ولما لحقهم فرعون وجنوده خاف أن يدخل وراءهم . فساق جبريل فرسه فاقتحمت وراء بنى إسرائيل ، فلما نجت بنو إسرائيل انطبق البحر على فرعون ومن معه فغرقوا جميعا ، وأنقذ الله جثته لتكون عبرة للظالمين ، وكذلك صدق الله وعده ورسوله موسى وأنجاه وقومه .

وفى ذلك قال الله تعالى : (وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) .

الباب السادس عشر

كيف أنزل الله على بنى إسرائيل المنّ والسلوى ؟

قال تعالى (وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) لما خرج بنو إسرائيل من البحر إلى البرّية قالوا

لموسى : لقد كنا نأكل فى مصر اللحم حتى نشبع . وها نحن فى البرية لا نجد ما نأكل . فأنزل الله عليهم المنّ . وهو شىء دقيق مثل القشور وبارد الجليد . فيأخذونه يصنعون منه الخبز . ويجدون فى الماء السلوى تغطى الأرض فيأخذون منه كفايتهم . وأمرهم الله تعالى أن لا يبقوا منه شيئا إلى اليوم التالى . فكان من يبقى منه شيئا يجده أنتن وامتلأ دودا . وكان المنّ طعمه كالرقاق بالعسل . ولم يزالوا يأكلون منه أربعين سنة .

ولما احتاجوا إلى الماء فى البرية شكوا إلى موسى عليه السلام . فقال الله تعالى : يا موسى اضرب الصخرة بعصاك التى ضربت بها البحر . فضرب موسى عليه السلام الصخرة فانفجر منه الماء فشرب بنو إسرائيل وسقوا دوابهم وأكمل الله تعالى عليهم نعمته .

الباب السابع عشر

حكاية فى بر الوالدين

قيل إن موسى عليه السلام قال : إلهى أرنى حبيبى فى الجنة قال الله : يا موسى اذهب إلى البلد الفلانى وادخل إلى السوق الفلانى ، فهناك رجل قصاب وجهه كذا وقدّه كذا . فهو

يكون حبيبك فى الجنة ؟ قال : فذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى ذلك الدكان ، فرأى رجلا شابا كأنه عبار ، فحقق موسى النظر فيه ساعة وقد تعجب من ظلم القصاب لما رآه يأخذ فضلا زائدا ويعطى ناقصا ، فهجس موسى فى ضميره : ربما إنه غير هذا ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى هو ذلك الرجل الذى عرّفك الله به ، ثم وقف موسى هناك إلى وقت الغروب ، فعند ذلك أخذ القصاب قطعة لحم وطرحها فى زنبيل وأغلق باب الدكان وأراد الانصراف ، فقال له موسى : هل لك أن تضيفنى هذه الليلة يافتى ؟ قال : نعم ، ثم مضى معه حتى دخل داره ، ثم قدم الرجل طعاما إلى موسى عليه السلام وقال له : إن شئت أن تتناول فافعل ، وإلا فاصبر حتى أعود إليك ، فقال موسى عليه السلام : سأنتظر فراغك من الشغل ؛ فعند ذلك قام الرجل وطبخ طبخا حسنا ، ثم دخل الدار وأخرج زنبيلا فيها عجوزة كأنها فرخ حمام وأخرجها من الزنبيل ، وأخذ ملعقة وصار يأخذ الطعام ويضعه فى فمها ، ولا زال يفعل حتى شبعت ، وبعد ذلك جفف ثيابها على النار وألبسها ووضعها فى الزنبيل ، وإذا بالعجوز حركت شفتيها ، وبعد ذلك أخذها وأعادها إلى الزنبيل وعلقها فى وتد وعاد إلى سيدنا موسى عليه السلام ،

وأراد أن يأكل معه فقال موسى للرجل : ما الذى صنعت ؟ قال : اعلم أن العجوز والدتى . وقد ضعفت وما عاد لها قدرة على القعود، وإذا انصرفت إلى السوق لا آكل ولا أشرب حتى أشبعها، قال موسى : قد علمت هذا ، ولكن رأيتها تحرك شفتيها فما كانت تقول ؟ قال القصاب : فى كل وقت أشبعها تقول : اللهمّ اجعله جليس موسى فى الجنة . فقال موسى : لك البشارة ، وهو أنا موسى جليسك فى الجنة . اللهمّ ارزقنا مثل هذا البرّ يا ربّ العالمين آمين .

الباب الثامن عشر

وفاة سيدنا موسى عليه السلام

لما قربت وفاة موسى عليه السلام . قام خطيبا فى بنى إسرائيل وخوّفهم وحذّرهم وبشرهم وأشهدهم على أنفسهم بالبلاغ المبين ، ثم قرأ لهم الآية (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ـ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ـ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) واتقوا الله ما استطعتم فى السرّ والعلانية : يا بنى إسرائيل عليكم بالصوم والصلاة والحجّ والزكاة ، وكونوا لليتيم كالأب الشفوق ، وللأرملة كالزوج العطوف ،

والغريب المسكين كالأخ الودود . وأوصيكم يا بنى إسرائيل أن لاتحرقوا التوراة ولا تبدّلوها ؛ فإن حفظتم وصيتى ينزل الله عليكم الخير والبركة وتسعدون . فلما فرغ من وصيته لبنى إسرائيل أوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا موسى إنى حكمت على سائر الأمم والمخلوقات بالموت ، فقد قرب أجلك ، فبعث الله ملك الموت إليه ليقبض روحه الزكية ، وكان له من العمر مائة وسبعون سنة ، وكان يتعبد على الجبل وفى كل أربعين يوما يأتى إلى بيت والدته يزورها وينام عندها يوما وليلة ويرجع إلى الجبل ؛ وكان هذا دأبه فى حياته فبينما هو ذات يوم جالسا يتلو التوراة وإذا بهاتف فوق رأسه ينادى : السلام عليك ياموسى ابن عمران ؛ قال فلما سمع صوته خفق فؤاده واضطرب جناحاه وأعضاؤه فرمى التوراة من يده إلى الأرض ، ونظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ، فناداه ثانيا وثالثا ، فتغير لونه وانعقد لسانه وسقطت التوراة من يده ؛ فعند ذلك ناداه ملك الموت : يا موسى لما لاترد علىّ السلام ؟ فقال موسى : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، من أنت أيها الهاتف ؟ فقال : ياموسى أنا ملك الموت ، هادم القصور ومعمر القبور ، ومتيم الأطفال ومشتّت الرجال ، ومرمّل النساء ، أنا هاذم اللذات ومفرّق الجماعات ، أنا الذى آخذ الولد من حضن أمه وأبيه ، وأنا

الذى لا يمنعنى حصن ولا باب . ولا أهاب الملوك ، فقال موسى : ياعزرائيل جئتنى قابضا أم زائرا ؟ قال : بل جئتك قابضا . قال : متى تقبض روحى . أفى هذا اليوم ؟ قال : نعم ياموسى ، قال موسى : فبحقّ من بعثك إلىّ إلا ماتركتنى لأودّع أهلى وأولادى ؟ فقال : ليس الأمر إلىّ ، فإذا النداء : ياعزرائيل أمهل أمهل عبدى موسى . فقال : لك ذلك ، فدخل على أهل بيته وودّعهم وداع الموت . فقالو يانبىّ الله من تخلّف على هذه الأولاد ، قال : أودعهم لمن لاتخيب عنده الودائع . فهذا اليوم آخر أيامى فى الدنيا ، فعند ذلك تعلقت به زوجته ابنة شعيب وقالت له : بحقّ شعيب وأخيك هارون ، إلا ماكشفت لى عن وجهك حتى أشبع من النظر إليك ، قال : وكان موسى لايستطيع أحد من بنى إسرائيل أن ينظر إليه من شعاع النور . فعانقته وبكت بكاء شديدا ، وأتى أولاده فودّعهم ، وذرفت أعينهم بالبكاء ، وأما بنته الكبيرة فوقعت على صدره وقالت : يا أبتاه على من تخلف على بناتك من بعدك ؟ قال : فرفع طرفه إلى السماء وقال : مولاى أنت خليفة عليهم . فأوحى الله إليه : ياموسى من كان لك يوم فرعون حين وضعتك أمك وألقتك فى البحر ؟ قال : أنت ياربّ نجيتنى وحننت علىّ وربيتنى ، فقال : ياموسى أكن

هم كما كنت ثمّ . فودّعهم وخرج من داره . فأوحى الله إليه : يا موسى اضرب بعصاك الحجر . فضرب بها فانفلقت نصفين . فخرجت منها دودة . وفى فمها ورقة خضراء تقول : سبحان من لاينسانى وأنا فى هذه الصخرة . قال : انظر يا موسى إلى هذه الدودة خلقتها وهى فى قلب الصخرة ، وسخرت لها رزقها . فكيف أنسى أولادك يا موسى وأنت نبىّ الله وكليمه ؟ قال : فعند ذلك سجد موسى شاكرا الله تعالى ومضى يريد الجبل . فأتاه ملك الموت . فقال له موسى : ماتريد ؟ قال : أريد قبض روحك الزكية . قال موسى : من أين تقبضها ياعزرائيل ؟ قال : أقبضها من فمك . قال : كيف تقبضها من فمى وقد كلمت الله تكليما ؟ قال : أقبضها من أذنك قال : كيف تقبضها من أذنى وقد سمعت صرير الأقلام على اللوح المحفوظ ؟ قال : أقبضها من عينيك . قال : كيف تقبضها من عينىّ وأنا قد نظرت بها نور ربى عزّ وجلّ . قال : أقبضها من يدك . قال : كيف تقبضها من يدى وقد تناولت بها التوراة ؟ قال : أقبضها من قدمك . قال : كيف تقبضها من قدمى وقد سعيت بها إلى الجبل وإلى المساجد المشرّفة ؟ قال : أقبضها من ركبتك . قال : كيف تقبضها من ركبتى وقد طال ماخررتُ بها ساجدا لربى تبارك وتعالى خالصا ؟ قال : فلما

سمع كلامه ملك الموت قال : يا ربّ أنت أعلم بما قاله عبدك ونبيك موسى . قال الله : يا عزرائيل امض إلى الجنة وخذ منها تفاحة وائت بها إليه . وناوله إياها بغير خطاب ، فاذا شمّها خرجت روحه . فمضى عزرائيل وأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل : انزلا إلى الأرض واحفرا قبرا . فطلع موسى إلى الفلاة بعد انصراف عزرائيل ، ومرّ على الذين ينبشون القبر فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام والرحمة ، فقال لهم : يا إخوانى ما تفتحون فى هذه الأرض ؟ قالوا : ننبش قبرا نرجو به الثواب ، فقال موسى : يا إخوانى أتحبون أن أعاونكم فيه ؟ قالوا : نعم ، قال : فرمى العصا وشدّ وسطه وصار يعاونهم حتى فرغوا من ذلك القبر ، فعند ذلك قال لهم موسى : إنى أراكم تحفرون ، ولم أر الميت معكم . فكم طوله وكم عرضه ؟ فقالوا : يا نبى الله إنه يشبهك فى الطول فكأنه أنت ، قال : فنزل فيه لينظر هل صار هو مقداره ، وصار يتقلب من جانب إلى جانب ، فجاء ملك الموت فى تلك الحالة وناوله التفاحة ، فوجد فيها رائحة الجنة ، فحينما شمّها خرجت روحه الزكية ، فنظر ملك الموت إليه وقال : طالما جادلتنى فما أسرع موتتك فى الوقت ، فنزلت الملائكة وغسلوه وكفنوه

بأيديهم . وكانت وفاته ليلة الجمعة ، وكان له من العمر مئة وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى .

وهذا ما انتهى إلينا من مناجاة موسى عليه السلام ، وصلى الله على سيدنا موسى عليه السلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون آمين .

تمت المناجاة . ويليها قصة الجمجمة نثرا ونظما

قصة الجمجمة

مع نبيّ الله عيسى عليه السلام

(نثرا)

ذُكر ـ والله أعلم بغيبه وأحكم ـ أن عيسى عليه السلام مرّ يوما فى سياحته على واد من أودية الشام ، وكان ذا أشجار وأنهار وأطيار تسبح الواحد القهار ، فتقدّم عيسى عليه السلام إلى نهر يجرى ، وتوضأ وصلى ركعتين لله تعالى . فلما سلم نظر عن شماله فرأى جمجمة شديدة البياض ، فجعل يتأملها ويتعجب من خلقتها ، ثم إنه قال : إلهى وسيدى ومولاى أسألك بجلال وجهك وعظيم سلطانك أن تأذن لهذه الجمجمة بأن تكلمنى إنك على كل شىء قدير . فلما أتمّ دعاءه ، سمع النداء من قبل الله تعالى : ياعيسى إنى أمرتها أن تجيبك بما تسألها عنه . فقال لها عيسى عليه السلام : أيتها الجمجمة النخرة أنت كنت ذكرا أم أنثى ، حرّا أم عبدا ، غنيا أم فقيرا ، خدّاما أم مخدوما ، سعيدا أم شقيا ، كريما أم بخيلا ، ملكا أو مملوكا ؟ فقالت الجمجمة ناطقة بلسان فصيح : السلام عليك يا نبى الله ، كنت ذكرا لا أنثى ، حرّا لا عبدا ، غنيا لا فقيرا ، مخدوما لا خادما ، كريما لا بخيلا ، وكنت ملكا من جملة ملوك

الشام . إذا ركبت ركب معى أربعة آلاف مملوك . وكنت ألقى فى صدرى ألف فارس . وكان عند عسكرى مئة ألف فارس بالعُدَّة الكاملة . والخيول الجياد . وعشت من العمر ألف سنة . وتزوجت بألف بكر . ورزقنى الله منهم بألف ولد . وملكت ألف مملوك . وكنت أصرف كلّ يوم ألف دينار . وكنت محبوبا عند الناس . وكنت أحكم بالسوية فى الرعية . وأخرجت وأعطيت ، وعزلت وأوليت . ولكن كنت أعبد الأصنام من دون الملك العلام . وكلما ازددت إحسانا ازددت طغيانا . قال : فلما سمع عيسى عليه السلام من الجمجمة هذا الكلام . قال : الملك لله الواحد القهار . سبحان من يرزق من عصاه ، ثم قال لها : يا أيتها الجمجمة كيف رأيت الموت وغمته والقبر وظلمته ، ومنكرا ونكيرا وشدّته . والدود وصولته ؟ فقالت : يا روح الله : الأمر عظيم ، والخطب جسيم . اعلم يا نبىّ الله أن سبب موتى أنى دخلت ذات يوم الحمام وأطلت فيه الجلوس ، فغلبت علىّ الصفرة . فحملونى إلى قصرى ، ووضعونى على فراشى ، وبقيت أربعة أيام على حالتى لا آكل ولا أشرب . وفى اليوم الخامس اجتمعت علىّ أرباب دولتى . وقالوا لى : أيها الملك ما الذى جرى لك وما الذى أصابك ؟ وأتوا بالأطباء والحكماء فلم يفيدونى شيئا .

وفى اليوم السادس تحرّكت الصفرة والأمراض ، فوقعت فى سكرات الموت . وكنت أنظر إلى حريمى وعيالى وهم يبكون علىّ ويتخبطون . ومالى قدرة أن أردّ عليهم جوابا . وبعد ذلك أتانى ملك الموت وأقدامه فى الأرض السابعة . ورأسه فى السماء السابعة . وله أجنحة من الرحمة . وله سبعة أوجه : وجه أمامه ، ووجه وراء ظهره ، ووجه عن يمينه ، ووجه عن شماله ، ووجه فى رأسه ، ووجه تحت أقدامه . وفى يده حربة ، وفى الأخرى كأس من حميم . قال : فوضع الحربة فى مغرسى وسقانى كأس الفراق ، قال لها عيسى عليه السلام : أيتها الحمجمة أسألك عن الأوجه التى كانت فى ملك الموت ومايصنع بها ؟ فقالت له : يا روح الله ، أما الوجه الذى أمامه فيقبض به أرواح أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو نبىّ يبعث آخر الزمان . والوجه الذى وراء ظهره فيقبض به أرواح الكفار . والوجه الذى عن يمينه فيقبض به أرواح أهل المشرق . والوجه الذى عن شماله فيقبض به أرواح أهل المغرب . والوجه الذى فى رأسه فيقبض به أرواح سكان السموات . والوجه الذى تحت أقدامه فيقبض به أرواح أهل الأرض السفلى . ولكن يا نبىّ الله ما رأيت أحسن من الوجه الذى يقبض به أرواح أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال لها عليه السلام : أيتها

الجمجمة كيف رأيت الموت وصفته ؟ فقالت : يا نبيّ الله أتانى ملك الموت فى سبعين ملكا ، منهم عشرة قبضوا على يدى ، وعشرة جلسوا على صدرى ، وعشرة جلسوا على رجلى ، وعشرة دخلوا فى جوفى ، وعشرة قبضوا على لسانى ، ولولا قبضهم عليه لشهقت شهقة يفزع منها كلّ من حولى ، ولولا جلوسهم على يدى لكنت لم أترك حجرا فى الأرض إلا قلعتها من مكانها من شدّة سكرات الموت ؛ ثم إنهم يا روح الله أخذوا عروقى وعظامى ، فعند ذلك قلت : يامالائكة ربى أفدى روحى بجميع مالى ، فلطمونى لطمة كادت تختلط عظامى بعضها ببعض ، وقالوا لى : إن الله تعالى لايقبل الرشوة ، وقلت : أفديها بأهلى وأولادى ، فقالوا : هيهات قال تعالى (فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) ثم خرجت روحى ، فغسلونى وكفنونى وحملونى ، وقد ذقت كأس المنايا ووضعونى فى قبرى ، ثم ردّوا علىّ التراب وانصرفوا عنى ؛ فعند ذلك ردّت روحى إلى جسدى ، واستويت جالسا وقد دخل علىّ منكر ونكير ، وهما ملكان أسودان طويلان كالنخل الطويل ، وهما يشقان الأرض بأنيابهما ، وبيد كل واحد منهما عمود من حديد لو ضرب به أعظم جبل لهدم إلى الأرض السفلى ، ثم قالوا لى : من ربك ، ومن نبيك ، وما

دينك ؟ فعند ذلك تاه عقلى . وتلجلج لسانى . وقلت : أنتما ربى ، فقالا لى : كذبت يا عدوّ الله ؛ ثم إنهما ضربانى ضربة فهويت منها إلى ثالث أرض . وضربنى الآخر ضربة أيضا فنزلت بها إلى تخوم الأرض السابعة . وقلت : واويلاه . ليت أمى لم تلدنى ؛ ثم عصرتنى الأرض فاختلطت أعضائى بعضها ببعض . ثم قالت لى الأرض : ياعدوّ الله كم كنت تتكبر على ظهرى ، واليوم تأكلك الديدان فى بطنى . ثم إنهما أخرجانى بكلاليب من حديد وتركانى ومضيا عنى . ثم دخل علىّ ملك يقال له رومان الأزرق وقال : اكتب يا عدوّ الله ، فقلت : ليس معى دواة ولا قلم ولا قرطاس ، قال لى : قلمك أصبعك . وريقك مدادك ، وقرطاسك قطعة من كفنك . ثم قطع لى قطعة من كفنى ؛ وصار يعدّ لى سيئاتى وأنا أكتب كما أمرنى حتى فرغت ، ثم أخذ ما كتبته وعلقه فى عنقى وتركنى ومضى وسمعت مناديا من تحت العرش يقول : خذوه واحملوه إلى النار . ورأيت عند العرش أربع كراسىّ ، منها كرسيان عن يمين العرش ، وكرسيان عن شماله : الأوّل لإبراهيم الخليل عليه السلام ، والثانى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، والثالث لموسى عليه السلام ، والرابع لك يا روح الله ؛ فبينا أنا كذلك وإذا بالنداء من قبل الله تعالى (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه

ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه. إنه كان لايؤمن بالله العظيم . ولا يحضّ على طعام المسكين) . ثم جاءوا إلىّ بسلسلة وجعلوها فى عنقى وسحبونى على وجهى حتى انتهيت إلى مالك . وإذا هو جالس على كرسى من النار تخرج من فمه النار . وله عقدة بين عينيه : وهو لايزال غضبان . فلما رآنى قال : إلا أهلا ولا سهلا . ثم قام لى وأخذنى من يدى ولطمنى على وجهى وأدخلنى النار . فاذا هى سوداء مظلمة . وبها سبع طبقات : فأما الطبقة الأولى فاسمها جهنم . والثانية لظى . والثالثة الحطمة . والرابعة السعير . والخامسة سقر . والسادسة الجحيم . والسابعة الهاوية . وهى أشدّ النار عذابا على أهلها . فأما الهاوية فللمنافقين ، والجحيم للفراعنة . وسقر لمن يكفر بالقيامة . والسعير لإبليس وجنوده . والحطمة لليهود . ولظى للنصارى . وجهنم للمذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . يا روح الله . لو رأيت النار وأهلها لبكيت على أحوالهم بكاء شديدا . والنار مطبقة عليهم من كلّ جانب : ظاهرها من نحاس . وباطنها من رصاص . وأرضها العذاب . وسقفها السخط . وأفنيها فيها معذّبون . وفيها حيات كالجمال . وعقارب كالبغال . لو أن الله تعالى أذن إلى حية من حياتها أن تبلع الدنيا لبلعتها فى لقمة واحدة . ثم سلمنى مالك إلى سبعين من الزبانية . فأمسكونى ووضعونى فى تابوت من النار

طوله ألف قدم. وختموا عليه. ووكلوا بي شيطانا ماردا. وهو الذي قارنني في دار الدنيا. وطغاني على المعصية. ثم بعد ذلك أنزلني إلى جبّ عميق يسمى جبّ الأحزان. فحملوني وحطوني فيه. فمن شدّة العذاب صحت الجوع الجوع. فأتوني بشجرة الزقوم فأكلت منها فما زدت إلا جوعا. ثم صحت: العطش العطش. فأتوني بطاسة من نحاس ملتهب فيه الرصاص. فشربت منه فتقطعت أمعائي وعظامي. ثم عدت كما كنت. فقال عيسى عليه السلام: أيتها الجمجمة أخبريني عن أهل النار؟ فقالت الجمجمة: يا روح الله رأيت في النار أقواما أمامهم طعام طيب وطعام خبيث. وهم يأكلون الطعام الحرام. ويتركون الطعام الحلال. ورأيت قوما يأكلون النار. فسألت عنهم. فقالوا: هؤلاء الذين كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلما. ورأيت قوما يشربون الصديد. فسألت عنهم. فقالوا: هؤلاء الذين كانوا يزنون في دار الدنيا. ورأيت في النار نساء معلقات من شعورهن. فسألت عنهنّ فقالوا: هؤلاء اللاتي كنّ يزنين في دار الدنيا. ورأيت في النار نساء يلطمن وجوههنّ ويصحن بقبيح الأصوات. فسألت عنهن. فقالوا هؤلاء اللاتي كن ينحن على الميت في الدنيا. ولم أزل يا روح الله في العذاب أربعة وسبعين عاما. ثم بعد ذلك أخرجوني إلى

واد يقال له وادى الويل . وإذا بالنداء من قِبَل الله الواحد القهار جلّ جلاله : يا ملك الموت ألق هذه الجمجمة فى الطريق الفلانى . فإنه كان كريما فى قومه كثير الصدقات . ويطعم الطعام ويحبّ الفقراء والمساكين ويكرم الضيف ؛ فعند ذلك أخرجونى إلى هذا المكان كما ترانى يا روح الله ، أسألك أن تدعو الله أن يعيدنى حيا كما كنت فى دار الدنيا حتى أسلم على يديك وأعبد الله تعالى حقّ عبادته ؛ فقام عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى ركعتين وقال : اللهمّ إنى أسألك بجلال وجهك ، وعظيم سلطانك . أن تحيى هذا الميت بعزّتك وقدرتك وسطوتك على عبادك ، إنك على كل شىء قدير . فما استتمّ دعاءه ، إلا وقد تنفضت الجمجمة فصارت شابا من أحسن الشباب ، ثم التفت نبىّ الله عيسى عليه السلام إلى ورائه وإذا هو يقول له : السلام عليك يا روح الله . أنا أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أنك نبىّ الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، ثم إنه عاش بعد ذلك ثمانين سنة . وعَبَد الله حقّ عبادته حتى بقى يفطر فى كل سنة يوما واحدا . ولم يزل ساجدا راكعا باكيا خاشعا لله ؛ خوفا من نار جهنم . حتى أتاه هاذم اللذّات ومفرّق الجماعات . فسبحان الباقى بعد فناء خلقه . وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ الأمىّ وعلى آله وصحبه وسلم .

قصة الجمجمة

(نظما)

سبحان من رفع السما ... وزانها بالأنجما
سبحان ربى يعلما ... ما فى الأراضى والسما
سبحانه سبحانه ... من مالك يا أعزّه
ولا إله غيره ... قادر قدير يحكما
أقسم وأعدل الممات ... قضى الأمور كيف شاء
وكلّ خافية خفت ... فى غيب علم يعلما
يعلم ما يخفى الضمير ... هو السميع هو البصير
هو اللطيف هو الخبير ... بكلّ شىء يعلما
من أمر أسرار القدير ... انظر ودبر ما يصير
الشمس والقمر المنير ... مع الكواكب والأنجما
الشمس تجرى كل يوم ... فى غيب علام العلوم
الرعد يسبح والنجوم ... به الشياطين ترجما
على السما الله رءوف ... وفى الخلائق هو يشوف
فيها الملائكة صفوف ... والأنبياء الأكرما
خلق الإناث والذكور ... ثم الهوايش والطيور

والحوت فى قعر البحور يسبح الله دائما
الرعد يسبح لا محال أذن المهيمن ذى الجلال
منشى السحاب الثقال وعواصف الريح تزعما
الواحد الفرد الصمد رفع السماء بلا عمد
وأمر على الماء جمد سبعا فى سبع ارسما
وأمر على الأرض دحاة وسقاها بالماء روات
وأفاض عليها بالنبات خلاها خضرا منعما
فيها أثمار مشبهات والزرع أيضا والنبات
وأشجار دائما ساجدات تسبح الله دائما
وجعل عروقا بينهم ملتئمات لبعضهم
الكلّ دائم سقيهم عند المهيمن فى السما
وجعل عروقا متواليات فى كلّ واد يسجما
النمل يعلم حسبته كم ألرف عدّته
والطير يفهم نغمته إذا صرخ متكلما
ذو الكبرياء والجبروت يعلم دبيب العنكبوت
ما بين حيطان البيوت إذا تحرّك بعدما
سبوح قدّوس سلام سبحانه من لا ينام
سبحانه محيي العظام وهى رميم مهرما
سبحانه من واحد سبحانه من ماجد

سبحانه من راشد وفى سمائه معظّما
سبحانه ما أعظمه سبحانه ما أكرمه
سبحانه ما أرحمه لمن أتاه نادما
من بعد تسبيح الإله نمدح حبيبا اصطفاه
بالرسالة قد حباه يحكم بالحقّ ويحكما
الهاشمى صلوا عليه اللهم ارض عنهما
وارض عن أبى بكر الصدّيق هو المكنّى بالعتيق
وقد سمعنا بالتحقيق خلف النبى يتقدما
وأمر بذلك واستشر مولانا أبى حفص عمر
فى مدّة الخلف انتصر ولم يخل مظلما
وثالثهم فى العدول نعم الشهير نعم الرسول
عثمان بن عفان نقول وعلىّ الفتى الأزعما
على ابن عمّ المصطفى فارس حروب بلا خفا
الجهل قاتل واكتفى بحسامه يقصمهما
الأبرار الأعيان الأسياد أصحاب مجد يا عباد
من جهنم كونوا بعاد عسى نحشر معها
زين الرضى ياكل من يسمع لذى القول الحسن
حسين المفضل والحسن أولاد الزهراء فاطما
لزيد الصلاة مع السلام على النبى بدر التمام

شـــفيعنا يوم الزحام يوم تكون هائما
يا مؤمنـــين بفضلكم صلوا على أحمد كلكم
يوم الحساب يشفع لكم بشفاعاته تنجو مما
بعث رسولا بالكتاب بالحق وطريق الصواب
الشرع فيه كم ألف باب على الخلائق يحكما
يا ناس بحرمة ربكم فرّجوا المروّة إنكم
هبـــوا لأسماع كلكم لا أحد منكم يظلما
على كعب الأحبار فى الصحيح عيسى ابن مريم المسيح
هو ذات يوم يســـيح يلقى عظاما ورمجما
إذا بجثة الخافيـــه فى أرض قفر خاليـــه
منها المحاسن باليـــه والحسن منها قد ارتما
أفنى الجمال والدثر لا لحما لا عظاما لا شعر
لا عـــين تلمح بالنظر لا أنف واقف لا فمَا
لا أنف واقف يستبان لا مما ينطق باللسان
إلا المعادن والأسنان متخلخلا متهـــدما
من البعد تظهو بالنظر فى مثل برج أو قصر
فى وسطها ساكن القمر والعنكبوت استرسما
كأنهـــا لا كانت بها بهجا ولا ذات منتهى
ســـقط المحاسن كلها والحسن منها انعـــدما

قال ابن مريم ذا عجب ... من أىّ شىء تنتسب
يا جمجما عدلى السبب ... هل معـــرّبا أو معجما
يا جمجما أين يداك ... اليوم روحك فى هلاك
لا لحم لا جلد كساك ... ولا شـــعورا منعما
يا جمجما اش أنتيا ... اش كان فعلك فى الدنيا
هل كنت من ذى الباديا ... وإلا حنيفا مســـلما
هل كنت ملكا مكرما ... هل كنت سفاك الدما
هل كنت صانع الرماح ... عقار ضراب أســـهما
هل كنت سلطانا أو وزير ... هل كنت قائد أو أمير
هل كنت مرحم أو شرير ... منك الخـــلائق مهشما
هل كنت قائد فى البلاد ... ورعيتك مثل الجراد
المال تقبض بلا عـــداد ... وأنت لحكمك لازما
هل كنت قارع أو حكيم ... هل كنت تبخل أو كريم
هل كنت من أهل النعيم ... تسجد لمن خلق السما
هل كنت من أهل النعيم ... فى جنـــة الله منعما
هل كنت من أهل الجحيم ... تسقى سموم أهل الوصيم
هل كنت رجلا أو مرا ... هل كنت صارخا فى الورى
هل كنت صاحب مقدار ... بكلّ حكم تحكما
هل كنت ذا مال كثيرا ... هل غنيا أو فقـــيرا

هل كنت بالمصنع تفيد ... كبار صانع للحديد
هل كنت مقطعا فريد ... أو كنت صاحب مكرما
هل كنت تطعم الطعام ... هل كنت تضرب بالسهام
هل كنت حرّا أو غلام ... أسودا وحبشيا مطمطما
هل كنت أعرج أكرعا ... هل كنت قرطاس أقرعا
هل كنت مما أجمعا ... أجذم أبرص أبكما
هل كنت جبارا عنيد ... هل كنت سلطانا شديد
هل كنت شاهد أوشهيد ... فى أمر دينك تعلما
هل كنت قاطعا للطريق ... هل كنت فاجرا أو صديق
هل كنت من أهل الطريق ... تتبع حديثا منعما
هل كنت صياد الطيور ... هل كنت بناء القصور
تبنى المنارة والجسور ... طيب المعالى تحكما
هل كنت من أهل السرور ... هل كنت من أهل الأمور
هل كنت فى حكمك تجور ... بحكم تحكم ظالما
هل كنت قاضى المسلمين ... بحكم ربّ العالمين
بالحقّ تحكم واليقين ... وإلا ظلوما مهشما
هل كنت ذا لسان فصيح ... ذا بهجة ووجه مليح
أو كنت إنسانا شحيح ... مشغولا بمالك تظلما
هل كنت تاجر أووزير ... هل كنت ضرّاب النفير

يوم البراز والهـــدير بالخيـــل تدفق معهما
هل كنت بادى بالقدوم تنظر وتسب كلّ يوم
هل كنت من أهل العلوم أو كنت حجام الدما
هل كنت نجار السفن هل كنت عرى من الحصن
هل كنت حوكيا فى المدن نيرك ودفك قائما
هل كنت ضائعا منهمـــر هل كنت عباد الشجر
هل كنت شرّاب الخمر تعمـــل معاصى دائما
هل كنت تاجرا فى البحر من فضل مولاك منتظر
يا جمجما عد لى الخـــبر محـــللا أو محرّما
هل كنت فطنا أو نبيه هل كنت فى الناس وجيه
هل كنت قارى أو فقيه أو عالما متعلما
هل كنت إنسانا شفيق هل كنت صانع للدقيق
هل كنت تقطع الطريق تجلس عايـــه وتهجما
هل كنت مربوعا جسيم هل كنت كالطود العظيم
هل كنت من أهل النعيم أو كنت صاحب مكرما
هل كنت صانع تستفيد كبار صانع للحـــديد
هل كنت ذا بأس شديد أو كنت طباخ أطعما
هل كنت من أهل الهتوف أهـــل المزامر والدفوف
أهل المغانى والشـــقوف كذاب هتاف معمما

هل كنت خراز النعال هل كنت خدام الصقال
هل كنت تعبد ذا الجلال يوم الجزا يحرس كلما
هل كنت حراق الحجر هل كنت نقاش الصخر
هل كنت تضرب بالوتر أو أديبا فاهما
هل كنت خياط اللباس تجـــير وتقطع بالقياس
هل كنت صانع النحاس كلّ الصنائع تحكما
هل كنت فى دار القدور وشام فى أيام الدهور
هل كنت رائس فى البحور ســـبحان ربّ يعلما
هل كنت عطار الفواح تعمل روائح فى رواح
فيها الحلائق فى انشراح طيب الروائح ناعما
هل كنت ناسكا يعرفوك حربى وناصح للمـــلوك
ما اسمك واسم أبيك هل تنطق لى يا جمجما
هل كنت تضرب الطبول هل كنت تركب الخيول
هل كنت تضرب للفحول أو شاعـــر متكلما
قصر وصحح فى الخطاب عيسى بن مريم يا أصحاب
فلم تجاوبه جواب ذى الجمجة عن كلّ ما
عيسى بن مريم قد سعى مولاه وراغب فى الدعا
قال انطق لى مسرعا بالخـــير ثم تكلما
عيسى دهش من صفته وقال ما أعظم خلقتـــه

وقاسه من لحيته حتى لوسط المخشما
قد صابها اثنى عشر بشبره وإلا أكثر
فقال يا محيي الأثر انطق لى هذه الجمجما
نطقت لعيسى يا كرام الجمجما بأفصح كلام
قالت لى فى ذا المقام ألفين عام مرتما
نطقت وقالت باسان أنا هذا فى ذا المكان
قد كنت سلطان الزمان فى وسط جيشى نحكما
عمرى ثلاثة آلاف سنه فى المملكة والسلطنه
ترانى يا عيسى هنا نصلى بنار جهنما
جاورت مدّة سنين بأوسط الجيوش الطاغين
بعد القصور العاليين نرجع لبيت مظلما
لما نظرت لسيرتى وعسكرى ومحلتى
بكيت وسالت دمعتى على ما مضى وتقدّما
وكنت فى جيش كبير يركب ورائى ألف أمير
وكل ألف ألف وزير وألف خادم يخدما
قليل يا عيسى ما تقول وألف نفر معهما
قد كنت أوّل مدّتى تخشى الملوك من سطوتى
إذا حملت بحملتى فى الحرب من يتقدّما
إذا تلاقت الصفوف تركت ورائى ألف ألوف

أهل العمائم والسيوف مجلـــيا محـــزما
إذا تماشت الجنـــود تخـــرج ألوف لا تعود
تسمع طبول مثل الرمود خلفي وأنا متقـــدّما
اسمي وحســـبي وما نسي بين الســـلاطين يا نبي
مشهور اسم جدي واسم أبي جهما وجنـــدي ديلما
بالمـال يا عيسى طغيت لكن بذا الجيش اكتفيت
مئـــة ألف قصر بنيت من الذهب مـــترجما
في كل قصر ألف سرير فيها مراتب من حرير
وألف حجر مستنـــير من الياقوت فيهـــما
ألف معي مزمـــزما وإنا عليهـــم نحكما
وســـتون ألف للاتفاق دون المطايا والنياق
من الجياد إلى عتاق ومئـــة ألف ملجما
ومئة ألف من العبيد الكلّ قـــدامي تزيد
على باب قصري لا تجيد وأنا عليهـــم حاكما
ومئـــة ألف من العلوج الكلّ قـــدامي تموج
بالذهب والفضة تدوج كلامهـــم بالترجما
لهـــم لباس أحمـــر لهـــم لباس أصـــفر
لهـــم لباس أخضر بيض وأكحل أدهما
ومئة ألف من النعام في وسط قصري بالنمام

من الفواخت واليمام ألف معى من كل
ومئة ألف بالاهتمام ومئة ألف بالأختام
ومئة ألف من الهيام حبل ونبل وأسهما
بسيوفهم متحاليا وعلى العتاق متساويا
وبالحرير متغطيا كلامهم بالترجما
إذا طلعت لقبتى تلقى فراشى ورتبتى
والطعام كل من ضيفتى طايب لذيذ منعما
لمدينتى أربعون باب فيها المنارة والقباب
أولا عندى بالحساب ألفين هم عدتاهما
أما شهرت من طراد أما ظلمت من العباد
أما خلت من البلاد وتركتها متهدما
أما ملكت من المهور أما شربت من الخمور
أما ركبت من الذكور من الجياد الناعما
وعند ما حضر الأجل دخلت للحمام نغتسل
خرجت منه منكسل لحمى وعظمى معدما
تنظر إلى وجه كسف تنظر لشعرى قد وقف
وأنا بروحى منتشف لما رأيت بعدما
لما أحلت صورتى ونظرت سعيى ودنيتى
بكيت وسالت دمعتى على ما مضى وتقدما

وإذا برجل أعـورا بالباب واقف ينظرا
بوجـه بشع ما ترى ينظـر إلىّ منعما
فى يده حربة حقيـق تقول منها يا شـفيق
وبيـده كأس دهيـق من الحمام والعجر ما
قد قلت له يا ذا الرجل إلى متى لا تحـل
يا شـيخ عد لى ما تقل فى حاجتـك تنكر ما
يا شـيخ عد لى ما تريد فى كل ما تطلب وجيـد
فى المال وإلا فى العبيد أطلب علىّ كل ما
قد قال لى خـذ الكلام منى القصـير بالاتهام
أنا رسول محيى العظام لقبض روحك ملازما
لما سمعت بذكر الموت بقيت خائف لا تمـوت
قد قلت خذ البيوت والسـلطنة والمحكما
خـذ الممالك بميلها خـذ الإبل وفحولها
خـذ القصور بأكملها وإحماهـا مجتمعها
متى قد أتى باعـتزام فى أخذ روحى يا سلام
ضعنى بطعن بالسهام يشيب منـه الأبكما
حين فارقت روحى البدن أمر علىّ تدفن
وعادوا أناسىّ بالحـزن أنا فريد منهـما
حين خلفونى فى القـبر رجعت علىّ روحى للوكر

وأبقيت فى نفسى معتبر لما رأت مظلما
يا موحش ظلمة القبور بعد المنار والقصور
أوّاه يا دار الغرور من يتبعك ما ينجما
ناديت من تحت التراب من يجاوبنى جواب
إذا بملائكة العذاب أتوا إلىّ عزما
فى الحين جاءوا مستعجلين وجوه سود منكرين
بأمر ربّ العالمين هو الكريم المرحما
قد خاطبونى بلا مهول من هو إلهك يا جهول
مازدتهم كلما نقول إلا وأنا منقسما
سألونى عن دين الرسول عن الفرائض والحلول
قد كنت فى زمان جهول وبقيت خائفا منهما
أنا جاهل فى دنيتى يا وحشتى يا شفقتى
بعد القصور يا حسرتى ساروا بى لجهنما
سألت عن أعمالهم قالوا الذى حلّ لهم
المال يخزى بعضهم وليس ينفق درهما
فقال عيسى ما رأيت فيها وعدلى ما لقيت
فقلت اسمع ما رأيت سبع طباق فى جهنما
فيها عقارب كالبغال حياتها مثل البغال

وأشرار فيها كالجبال اسمع لقولى وافهما
وزبانيه فيها ساكنه هم رمونى فى هذه الهاويه
نيران فيها حاميه وأبقيت فيها حتما
سألت عن أوّل الطباق تلقى الخلائق فى اختناق
يصلون فى نار القلاق وشرابهم فيها حما
سألت من فى الثانيه تلقى الخلائق فانيه
وكل جثة باليه والدود منها ينهما
سألت عن أعمالهم شربوا الخمور فى أصلهم
والكلّ دائم ستيهم من ماء أسود أدهما
سألت من فى الثالثه تلقى الخلائق ماكثه
وهم صموت ساكنه قد استعذت منهما
سألت عنهم بالثبات قالوا فى ظلم الدعات
بيوتهم متعلقات وبيوتهم مظلما
وفى الرابعة ريح عظيم يخرج من نار الجحيم
لوهب فى الدنيا نسيم أحرق الأرض والسما
حملوقد من قبرى حقيق ورمونى فى نار الحريق
لا صاحب لى ولا صديق إلا مع من ظلما
سألت من فى الخامسه تلقى النصارى وكايسه

وهم رقود عابسه من حرّ نار جهنما
فى السادسة ملك شديد يعصر جبال حديد
قالوا يخرج منه صديد قد يشربوا من فيهما
سألت من فيها خلود قالوا كما كنا يرد
اليوم ها هنا قعود نموت بنار جهنما
فى السابعة تمّ الوصول الهاويا عرضا وطول
فيها هوايش ما تقول قدر الأرض والسما
لو دخلت للدنيا حقيق فى أذنها نستفيق
وإذا مشت تعمل طريق فى وسط نار جهنما
وشرابها ستون واد ولا يبلو لها فؤاد
وهى تنادى أين عاد أهل النميمة أين هما
أين الذين ظلموا العباد أين الذين حاوا الفساد
أين الذين خربوا البلاد حاشاه ربنا أن يظلما
أهل النميمة والأشغال فى الدرك الاسفل لا محال
يتلاومون فى جدال من حرّ نار جهنما
كم من معذّب من دهور نلقا سعيرا مع ثبور
لو كان قلبك من حجور تسخف لما من اظلما
لو كان قلبك يابسا تسخف لمن كان أسا

ادع ربك يا عيسى نحيا لذلك ونسلما
صلى ابن مريم ركعتين وسجد لله سجدتين
فقال قم بإذن واستبين بإذن الله وتكلما
سلم عيسى دعوته حتى أن كملت خلقته
جعله على أوّل ضيفته أسلم على يد عيسى مسلما
سلم على عيسى وقال سبحان ربّ ذى الجلال
المقتدر له الكمال هو حياتى بعد ما
وعاش من بعد الفنا حتى بلغ ستين سنة
لما حضر أجله دنا مات وتوفى مسلما
يا من أتانا مستنيف اسمع لذا القول الظريف
هذا عبدالله الكفيف الله يميته مسلما

تمت قصة الجمجمة ، ويليها قصة وفاة آدم عليه السلام

وكُسِفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن . فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله إليه بحَنوط وكَفن من الجنة ، ووَلِيت الملائكة غسله ودفنه . فغسلته بالسدر والماء وترا ، وكفنوه فى ثلاثة ثياب ، ثم لحدوا له ودفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده . قال ابن عباس : فلما مات آدم قال شيث لجبريل صلّ على آدم ، فقال له جبريل : تقدّم أنت فصلّ على أبيك . فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهى الصلاة ، وأما خمس وعشرون فهى تفضيل لآدم . وقد اختلف فى موضع قبره ، فقال ابن إسحاق : فى شارف الفردوس ، وقال غيره : دفن بمكة ، وقيل فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير .

وروى أبو صالح ، عن ابن عباس أنه قال : مات آدم على جبل نود بالهند ، وقال ابن عباس : لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم فى السفينة ، فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس ، وكانت وفاة آدم يوم الجمعة . وعاشت حوّاء بعده سنة ، ثم ماتت ، فدفنت مع آدم عليهما السلام ، والله أعلم .

فهرس

صحيفة

٣ المقدمة

١٣ الباب الأول

١٤ » الثانى

١٦ » الثالث

١٨ » الرابع

٢٣ » الخامس

٢٥ » السادس

٢٧ » السابع

٢٩ » الثامن

٣٣ » التاسع

٣٤ » العاشر

٣٧ » الحادى عشر

٤٤ » الثانى عشر

٤٦ » الثالث عشر

صحيفة

٤٨ الباب الرابع عشر
٤٩ » الباب الخامس عشر
٥١ » السادس عشر
٥٢ » السابع عشر
٥٤ » الثامن عشر
٦٠ قصة الجمجمة مع نبيّ الله عيسى عليه السلام
٦٨ نظم الجمجمة
٨٤ قصة وفاة آدم عليه السلام

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع كتاب : المناجاة الكبرى
مصححا ومعرفة لجنة التصحيح برياسة : الشيخ أحمد سعد على
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
[٢ / ١ / ٤٠٠٠ / ١٩٥٦]

القاهرة فى { ٢٢ جمادى الأولى ١٣٧٥هـ
٥ يناير ١٩٥٦م

مدير المطبعة
رستم مصطفى ال